رسالة مفتوحة إلى

الفتاة المسلمة

في عصر العولمة

د/ ماجد عرسان الكيلاني

دار القلم
الإمارات العربية المتحدة
دبي

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم :(٧١)

رسالة مفتوحة إلى الفتاة المسلمة في عصر العولمة

تأليف
الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

دار القلم
الإمارات العربية المتحدة
دبي

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٥ م

دار القلم للنشر والتوزيع

المكتبة : بردبي بناية الفردان تليفون : ٣٩٣٠٤٣٠ فاكس : ٣٩٣٠٤٠٨

المستودع : القصيص تليفون : ٢٦٧١٧١٥ فاكس : ٢٦٧٠٦٤٠

ص . ب : ١١٨١٧ دبي . دولة الإمارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء مع الإهداء

أولاً: الإهداء:

إلى السيدة الفاضلة والدتي

نعامة يونس الرمضان رحمها الله

الوعي بالمسؤلية كان ميراثها الرئيسي عن جدها عمر بن الخطاب ﷺ مع حرصها الشديد على أن لا تفاخر بهذا النسب.

في طفولتي كانت تقول لي: اجعل قدوتك جدك الشيخ عبد القادر الكيلاني. وحين جاوزت الثامنة عشرة من عمري كانت تقول: جمِّلْ ـ أي اجعل جميلا ـ نسبك بطاعة الله وحسن الخلق، ولا تدنسه بالمعصية وسوء الخلق! فنسبك شريف ينتهي إلى الإمام علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء ﷺ.

أرتني من شمائلها ما فتح بصيرتي على نموذج المرأة (القوية ـ الفاضلة) وهو النموذج الذي جعلته محور هذه الرسالة.

أرادني والدي وجدي للجندية والجيش، وأرادتني للعلم ثم رعتني لأبذل أقصى الجد وأصبر على أقس الظروف حتى حصلت على شهادة الدكتوراه في أصول التربية الإسلامية، ودرجة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

ثانيًا: الدعاء:

اللهم يا من أمرتنا بالوالدين إحسانا، أسألك الإحسان لوالدتي! اللهم بارك في حسناتها، وتجاوز عن سيئاتها، وادخلها جنة النعيم، بأسمائك الحسنى ثم باسمك الأعظم الذي ما دعاك به أحد إلا أجبته. برحمتك يا أرحم الراحمين، وبكرمك يا أكرم الأكرمين.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾(١). والصلاة والسلام على رسوله ﷺ القائل: "النساء شقائق الرجال". وعلى آله وأصحابه وأتباعه المؤمنين والمؤمنات، الراضيات بالقرآن هاديًا وبالسنة قدوة، وبعد:

منذ عقد الثمانينيات من القرن العشرين والجدال يدور ـ محليًا وعالميًا ـ حول نموذج المرأة المسلمة الذي سوف تخرجه مؤسسات التعليم والثقافة في ضوء شعار العولمة الجديد: "التعليم من أجل سوق العمل". وتشير المشروعات والنشاطات الجارية تحت هذا الشعار إلى أنه سوف يكون من نتائج هذه السياسات التربوية قولبة سلوك الفتيات المسلمات وتحويلهن إلى سلع تسويقية في مراكز التجارة العالمية وأسواقها، أو مدمنات استهلاك يرهقن الأسر ويستنزفن مقدراتها.

(١) سورة الروم آية: ٢١.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما خطورة هذا الاهتمام الكبير بالمرأة عامة والمسلمة خاصة؟

الجواب: هو أن العولمة المعاصرة هي التطبيق العملي لـ"صنمية العصر وأصنامها" وأن النساء هن أكثر سدنة هذه الصنمية وأكثر أدواتها وضحاياها.

و"الصنمية" معناها تخلي الأفراد والجماعات عن حرياتهم وإراداتهم وممتلكاتهم التي وهبهم الله من أجل مخلوق آخر ثم التوسل إليه ليرد إليهم بعضًا مما سلبهم. والصنمية مرض حضاري يصيب المجتمعات والحضارات فينتقص من إنسانية الإنسان ويهوي به في وادٍ من الهوان سحيق، حيث يسجن بسجن شهواته وبشريته المجردة من العقل والدين والفضيلة والمكانة الإنسانية.

وحين بُعث رسول الله ﷺ قام بمهمتين: الأولى؛ تحطيم الأصنام التي انحدرت إلى عصره من الماضي. والثانية؛ تحذير الإنسانية من أصنام مستقبلية أدرجها تحت أسماء: الأنداد، والمال، والقطيفة، والخميصة. ولقد ورد ذكر الأنداد في أكثر من موضع في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِّلَّهِ﴾[1]. وروى المفسرون عن الصحابي عبدالله بن عباس والصحابي عبد الله بن مسعود ﷺ أن الأنداد هم الرؤساء يطيعهم الناس في معصية الله، ويحلون لهم الحرام، ويحرمون عليهم الحلال. أما الأصنام الثلاثة الأخرى فقد ورد ذكرها في الحديث النبوي القائل: "تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش". ومعنى تعس: هلك، والقطيفة: السجادة، وهي رمز للأثاث والمقتنيات المنزلية. والخميصة: القماش، وهي رمز للباس والأزياء.

والنظر الدقيق يعي الترابط الوثيق بين الأصنام الأربعة فـ"الأنداد الأصنام" يستأثرون بـ"المال" من خلال - أوراق النقد - التى تمكنهم من امتلاك كل شيء مع أنهم لا يعملون، وهذا أسوأ ما في النظام الاقتصادي الحديث حيث يستطيع الأقوياء احتكار الثروات كلها ويتفننون في اقتناء القصور والأثاث واللباس وكل ما

(١) سورة البقرة آية: ١٦٥.

يجسد صنم "القطيفة" و"صنم الخميصة"، بينما لا يملك - الذين يعملون - شيئًا إلا الفتات الذي يملأ نصف البطن ويستر العورة، وبذلك تظل قلوبهم تتطلع إلى عطف "الأنداد" وتشرئب أعناقهم إلى تقليدهم في الزينة والاستهلاك.

وحضارة العولمة المعاصرة تتمركز حول عبادة الأصنام الأربعة ورعايتها. والنساء هن أكثر سدنة هذه العبادة، وهن أكثر أدواتها وأكثر ضحاياها.

أما أنهن أكثر سدنة الصنمية الجديدة وأدواتها، فلأنهن أكثر حضورًا في طقوسها وأكثر لمعانًا في مؤسساتها. فمن النساء من يوقفن حياتهن تحت عنوان "نجوم الفن" للتسبيح باسم - الأصنام الأنداد - وترديد الأهازيج والأغاني التي تستهدف جمع القلوب على محبتهم وتصويرهم بصورة مالك الأرض والسموات ومن بيده أقدار الخلق أجمعين. ومن النساء من يقضين العمر في خدمة القارونيين الجدد الذين يرعون - صنم المال - وبنوكه ومؤسساته التي تعمل على احتكاره وتشعل الحروب من أجله، ومن النساء من يعتكفن في أسواق العولمة يغرين المستهلكين بعبادة صنم - القطيفة -

وأشكالها وموديلاتها وتصوير السعادة باقتنائها. ومن النساء من يعملن في دور الأزياء ومعارضها المبثوثة على القنوات الفضائية، أو في الصحف والمجلات يرغبن النساء الأخريات بموديلاتها وفساتينها وشالاتها وعطورها وأصباغها. ومن النساء من يعملن في صناعة السينما والمسلسلات التلفزيونية لإشاعة ثقافة الاستهلاك وإدمان الشراء لمجرد الاقتناء. ومن النساء من يعملن في فنادق السياحة ومسارحها وتقديم المتع لروادها. ومن النساء من يعملن في استوديوهات الفيديو الغنائي والجنس المرئي.

وأما أن النساء أكثر ضحايا "الصنمية الجديدة" فلأنهن في جميع المواقع التي مر ذكرها مجرد سلع يستثمرها المستثمرون: وأجساد يستمتع بها المترفون، حتى إذا نضبت نضارة الشباب وذوى الجمال ألقي بهن في أكداس النفايات البشرية مكفنات بالآلام واليأس والحسرات. وهن أكثر الناس ضحايا لأنهن أكثر الناس إقبالاً على الاستهلاك وأكثرهم إصرارًا على شراء المنتجات. ففي كل يوم تشد الرحال وتنظم قوافل المتسوقين بطلب من النساء وقيادتهن إلى مواقع أصنام المال، والأثاث، واللباس، ليقضوا أوقاتهم في السعي بين

معارضها والطواف بأسواقها، يكدسون من المشتريات مالا يحتاجون، ويغيرون موديلات الأثاث واللباس والمقتنيات بالتقسيط والديون، وحين يقوم المصلون منهم إلى الصلاة لا تتجاوز قراءتهم شفاههم، ولا يفقهون للآيات معنى، ولا يدرون كم ركعة صلوا، فقلوبهم بأصنام المال مشغولة، وبالأثاث واللباس لاهية، يفكرون بموديلاتها وكيفية الحصول عليها.

وخلال هذه الطقوس الصنمية تصبح الغايات تبريرًا للوسائل، وتموت الضمائر، وتفسد الأذواق، وتنهار الأخلاق، وتنحل الروابط، وتنتشر الجريمة، ويتجرد الإنسان من إنسانيته، ثم تكون المحصلة النهائية لهذه الممارسات أن تصبح الحياة الأسرية عبئًا لا يطاق: المتزوجون والمتزوجات يلعنون الزواج ويضيقون به، والعزاب يسمعون بمصائبه ومشكلاته فيهربون منه؛ ثم تكون النتيجة أن يرتكس الجميع في قطعان التجمعات السكانية الضائعة، المغتربة عن إنسانيتها، في مقاهي المخدرات ومصائد المحرمات.

وأمام هذه الفتن والضلالات التي تركز على جسد المرأة وتتجاهل عقلها ومشاعرها. وأمام الفيضان

الإعلامي الذي يجتاح كل بيت ويجعل من فيه يصبح مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، فإن الواجب يفرض تبصير الفتاة المسلمة بتفاصيل هذا التحدي ووسائل مجابهته في ضوء البصائر القرآنية التي تبصرها بمسئولياتها إزاء مستقبلها ومستقبل المرأة في العالم كله.

هذا ما استهدفت الإسهام فيه هذه الرسالة المفتوحة إلى الفتاة المسلمة في عصر العولمة. والله سبحانه يثبت المؤمنات الصادقات، المرابطات عند حدود الله بالقول الثابت شعارهن في هذا الرباط دعاء إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾[١].

ودعاء زوجة فرعون المؤمنة: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢].

١ ـ الزوجية سنة خلق وقانون حياة:

"العمل الصالح" هو سبب إيجاد الإنسان

---

(١) سورة إبراهيم الآيتان: ٣٥-٣٦.

(٢) سورة التحريم آية: ١١.

وغاية خلقه وحياته الجارية على الأرض، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾(١).

وحين اقتضت سنة الله بأن يخلق من كل زوجين اثنين إنمّا أراد سبحانه من هذه الثنائية: أن يكون "العمل الصالح" ثمرة تكامل الزوجين بينما جعل التفرد بالعمل من صفاته وحده، فهو الواحد الأحد، العزيز بذاته، الغني عن مساعدة سواه، وإلي سنة الزوجية هذه كانت الإشارة في مواضع عديدة من القرآن الكريم. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٢).

وقوله أيضًا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ﴾(٣).

ولكن عمل هذه ـ الزوجية ـ في عوالم الحيوان والنبات والجماد قائم على الحتمية والتسخير المطلق، أما عالم الإنسان ـ الذي امتحن بحرية الاختيار ـ فإن لحرية العمل خصوصية وهي أنها حرية تقتصر على اختيار

---

(١) سورة الملك آية: ٢.
(٢) سورة الذاريات الآية: ٤٩.
(٣) سورة يس الآية: ٣٦

مقدمات العمل وأسبابه، أما النتائج فهي حتمية. وإلى هذه الحقيقة يوجه القرآن عند أمثال قوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] أي الذين ينقون سوء الاختيارات المخالفة لسنن الخليقة وقوانينها. فالحرية للإنسان مضمونة في إتيان "العمل الصالح" أو اقتراف "العمل السوء"، ولكن ليس له الحرية في تجنب نتائج هذين الاختيارين. فالإنسان له حريته في اختيار الجهل ولكن ليس له الحرية في تجنب التخلف المتولد من هذا الاختيار. وحرية الأمم مضمونة إذا اختارت وحدة الصف، أو الفرقة، والعدل أو الظلم، والإصلاح أو الإفساد. ولكن ليس لها الحرية بعد ذلك باختيار النصر أو الهزيمة، والاستقرار أو الفتن، والمنعة أو الضعف. ويضرب القرآن الكريم مثلاً بالقوم: "الذين ظلموا أنفسهم" فاختاروا أن يزرعوا حرثهم في فصل أصابه ريح فيها صر ـ أي برد وصقيع ـ فلم يستطيعوا تجنب هلاك الزرع أو "الحرث".

وهكذا في كل أعمال الإنسان وإنجازاته، هو يملك أن يختار الأسباب ولكن الله سبحانه وتعالى يلزمه

---

(١) سورة الأعراف آية: ١٢٨

"بالعاقبة" أي النتائج المترتبة على اختياراته ولن ينقذ "الإيمان" وحده الأفراد والأمم من سوء اختياراتهم لأنهم ألبسوا هذا الإيمان بظلم سوء الاختيار ومجانبة سنن العمل الصالح قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لهمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

٢ـ كيف يعمل قانون الزوجية في حياة الرجل والمرأة:

والتطبيق العملي لـ"سنة الزوجية" في حياة الإنسان يتجسد في تزاوج "عمل" الرجل و"عمل" المرأة. وهو تزاوج لا يقف عند تزاوج الأجساد الذي "ينجب" الذرية ويؤدي إلى استمرار الأجناس البشرية وإنما يمتد ليشمل تزاوج الأفكار وتزاوج المشاعر وتزاوج الآمال والتطلعات التي تؤدي إلى رقي السلالات وبناء الحضارات. وحين يضطرب سلم القيم ويختار الرجل أو المرأة أن يمارس البناء والعمران دون "التزاوج" مع "زوج" تماثله أو يماثلها في القدرات والمعلومات والإرادة فإن نتائج "عمله" أو "عملها" تبور، وجهوده أو جهودها تصاب بالإحباط، لأن ذلك يذهب ببيئة السكَن اللازمة لنجاح الأعمال والتي يرشد إليها قوله تعالى:

---

(١) سورة الأنعام آية: ٨٢.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾[١]. والتعبير القرآني لم يقل إليهن أو إليهم ليكون الخطاب موجهًا لكلا الزوجين. ويؤكد ذلك أن القرآن الكريم يطلق لفظ "الزوج" على نوعين من الناس، الأول: الرجل والمرأة اللذان يربطهما رباط شرعي يتماثلان فكرًا وعملاً. والثاني: الرجل وأتباعه الذين يماثلونه في الاعتقاد والعمل وذلك عند قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾[٢]. وهذا يعني أن المعنى الرئيسي "لزوج" هو التماثل الفكري والأخلاقي.

وانطلاقًا من مفهوم "التزاوج" هذا أطلق القرآن الكريم على كل من عضوي الأسرة القرآنية اسم "الزوج" ـ وليس الزوجة والزوج ـ وهذا اسم لم يطلقه القرآن على المرأة إذا لم تقم بينها وبين الرجل علاقة تزاوجية مثمرة، أي علاقة تماثل وتكامل في الفكر والإرادة والعمل بما فيه الإنجاب نفسه. فهو مثلا لم يطلقه على نساء الرسل اللاتي لم يماثلنهم عقيدة وعملاً، فقال: (امرأة نوح) و(امرأة لوط) ولم يقل (زوج نوح) ولا (زوج لوط)،

---

(١) سورة الروم آية: ٢١.

(٢) سورة الصافات آية: ٢٢.

"بالعاقبة" أي النتائج المترتبة على اختياراته ولن ينقذ "الإيمان" وحده الأفراد والأمم من سوء اختياراتهم لأنهم ألبسوا هذا الإيمان بظلم سوء الاختيار ومجانبة سنن العمل الصالح قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لهمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

٢- كيف يعمل قانون الزوجية في حياة الرجل والمرأة:

والتطبيق العملي لـ"سنة الزوجية" في حياة الإنسان يتجسد في تزاوج "عمل" الرجل و"عمل" المرأة. وهو تزاوج لا يقف عند تزاوج الأجساد الذي "ينجب" الذرية ويؤدي إلى استمرار الأجناس البشرية وإنما يمتد ليشمل تزاوج الأفكار وتزاوج المشاعر وتزاوج الآمال والتطلعات التي تؤدي إلى رقي السلالات وبناء الحضارات. وحين يضطرب سلم القيم ويختار الرجل أو المرأة أن يمارس البناء والعمران دون "التزاوج" مع "زوج" تماثله أو يماثلها في القدرات والمعلومات والإرادة فإن نتائج "عمله" أو "عملها" تبور، وجهوده أو جهودها تصاب بالإحباط، لأن ذلك يذهب ببيئة السكن اللازمة لنجاح الأعمال والتي يرشد إليها قوله تعالى:

(١) سورة الأنعام آية: ٨٢.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾(١). والتعبير القرآني لم يقل إليهن أو إليهم ليكون الخطاب موجهًا لكلا الزوجين. ويؤكد ذلك أن القرآن الكريم يطلق لفظ "الزوج" على نوعين من الناس، الأول: الرجل والمرأة اللذان يربطهما رباط شرعي يتماثلان فكرًا وعملاً. والثاني: الرجل وأتباعه الذين يماثلونه في الاعتقاد والعمل وذلك عند قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾(٢). وهذا يعني أن المعنى الرئيسي "لزوج" هو التماثل الفكري والأخلاقي.

وانطلاقًا من مفهوم "التزاوج" هذا أطلق القرآن الكريم على كل من عضوي الأسرة القرآنية اسم "الزوج" ـ وليس الزوجة والزوج ـ وهذا اسم لم يطلقه القرآن على المرأة إذا لم تقم بينها وبين الرجل علاقة تزاوجية مثمرة، أي علاقة تماثل وتكامل في الفكر والإرادة والعمل بما فيه الإنجاب نفسه. فهو مثلا لم يطلقه على نساء الرسل اللاتي لم يماثلنهم عقيدة وعملاً، فقال: (امرأة نوح) و(امرأة لوط) ولم يقل (زوج نوح) ولا (زوج لوط)،

(١) سورة الروم آية: ٢١.
(٢) سورة الصافات آية: ٢٢.

ومثله قوله تعالى: (امرأة فرعون) ولم يقل (زوج فرعون) لأنها كانت مؤمنة استجابت لرسالة موسى ﷺ، وفرعون كان عاصيًا كافرًا. ولذلك أيضًا خاطب آدم ﷺ: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ﴾(١) لأن حواء كانت تماثله وتتكامل معه فكرًا وعملاً، وخاطب الرسول ﷺ بأمثال: (قل لأزواجك) و(تبتغي مرضاة أزواجك) لأنهن ارتقين إلى مستوى - العمل - الذي سَنه، و - الزهد - الذي عاشه. ووصف سارة بأنها (امرأة) إبراهيم ﷺ، وروى على لسان زكريا ﷺ قوله (وامرأتي عاقر) وذلك قبل إنجاب الأولى إسحاق ﷺ، وإنجاب الثانية يحيى ﷺ وتحقيق "العمل" المقصود من الزواج والذي يوجه إليه قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾(٢).

والقانون أو السنة الإلهية - التي يطرحها القرآن لتنظيم علاقة - زوجية بين الرجل والمرأة تتطابق مع القانون الذي ينظم - عمل - تياري الكهرباء الموجب والسالب. ففي هذين التيارين يتم جريان كل منهما في سلك معزول تمام العزل عن الآخر في الوقت الذي يجتمع السلكان المعزولان في لفافة ثالثة تصنع منهما حبلا

(١) سورة البقرة آية: ٣٥.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٢٣.

واحدًا. ويبدأ امتداد السلكين المعزولين من المولد الكهربائي دون أن يتماسا إلا عند المفتاح أو الزر الكهربائي، أما إذا تعرى السلكان وتلامسا في منطقة قبل المفتاح الكهربائي فإن الصدمة الكهربائية أو الكونتاك تشتعل وينطفئ النور وتتفجر الأجهزة وتتوقف الآلات وتشتعل الحرائق ويحل الخراب وتتوقف حركة الحياة وينتشر الظلام.

وكذلك الأمر في "السنة الزوجية" أو القانون الذي ينظم تكامل عمل الرجل والمرأة حيث تجري جهودهما لبناء الحياة الفاعلة البناءة. ولتكون هذه الجهود نافعة مؤثرة لابد من إطلاق قوى الاثنين وتكاملهما جنبًا إلى جنب ليجري من خلالهما البناء والإصلاح ـ كما يجري التيار الكهربائي في السلكين الموجب والسالب ـ مع الحرص على قيام عازل جسدي واحتشام أخلاقي يحول دون لقائهما الجسدي إلا في بيت الزوجية ـ مفتاح كهرباء الحياة الاجتماعية البناءة ـ فحين يحدث اللقاء في هذا البيت تعمر الحياة وتسود المودة والرحمة بين الأسر المتصاهرة وتتوثق روابطها وتسكن الأجساد وتنعم بالصحة النفسية والعافية الجسدية وينمو الأبناء والبنات معافين من العقد النفسية والإعاقات الجسدية. أما إذا

حدث التلامس الجسدي بعيداً عن مفتاح الكهرباء الحياتية ـ أي خارج بيت الزوجية ـ فإن الحرائق الاجتماعية ـ أو الكونتاك الاجتماعي ـ يشتعل ويجلب الكوارث النفسية، ويدمر المكانة، ويشيع الاضطراب والمشاجرات، ويتشوه المواليد، وتنتشر الأمراض، وتتوالى أجيال السيلان والسلس والإيدز. وأمثالها من الأمراض.

ولكن أخطر الأضرار المترتبة خارج بيت الزوجية هو: أن المرأة والرجل يتجردان من الهدف الذي يسعيان إليه وهو الحصول على "الحب والانتماء". ذلك إن المرأة تعطي الجنس لتحصل على "الحب والانتماء" بينما يعطي الرجل الحب ليحصل على "التقدير والإعجاب" وما الجنس ـ في بيت الزوجية ـ إلا شكل من أشكال تبادل العطاء. أما خارج بيت الزوجية فيتحول مرضًا يعبر عن ضعف في إرادة الخير وانحراف عن طريق السعادة. الأمر الذي يكون من ثماره تبادل "الكره والاحتقار" بين مقترفيه. وهذا بعض مظاهر الإعجاز في القرآن عند قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[1]. فهو "فاحشة" لآثاره

(١) سورة الإسراء الآية: ٣٢.

النفسية والاجتماعية، وهو سبيل "سيئ" لأثاره الجسدية وتسببه في عدد من الأمراض المزمنة التي لم يكتشف لكثير منه دواء بعد!

٣ ـ نماذج المرأة الأربعة وتطبيقاتها في الواقع الذي نعيشه:

يشير البحث في القرآن الكريم ثم النظر في البحوث العلمية التي تناولت حالة المرأة المعاصرة والتطبيقات الجارية في الواقع الذي يعيشه الناس في الشرق والغرب إلى أن نماذج المرأة تقسم إلى أربعة أقسام هي:

أ ـ النموذج الأول: المرأة القوية ـ الفاضلة:

والصفة الرئيسية التي يتمتع بها هذا الصنف من النساء هي انهن "حاضنات الرسل وسند الرسالات ـ كما تحدث القرآن الكريم عن أم موسى وأخته، وعن امرأة فرعون وعن مريم العذراء أم عيسى ﷺ، وكما كان شأن خديجة وأخواتها من المهاجرات والأنصاريات". فلا غرابة ـ إذن ـ أن رأينا القرآن الكريم يطلق اسم ـ النساء ـ على سورة طويلة. فيه ويخصهن بسور المجادلة والممتحنة والنور والطلاق. ولنفس الأسباب ذكر الرسول ﷺ ـ أن أولى المحبوبات الثلاث التي حُببت إليه هي النساء، ثم الطيب ثم جعلت قرة عينه في الصلاة.

والسمات المميزة لهذا النموذج ـ نموذج القوية ـ الفاضلة ـ ثلاث هي:

١ـ الإحاطة بعلوم غايات الحياة ووسائلها كما وجهت إليها آيات الآفاق والأنفس.

٢ـ إحكام المزج بين المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي في كل سلوك فردي أو علاقة جماعية لتكون محصلة هذا المزج بروز "ثقافة الاحتشام".

٣ـ تعشق "المثل الأعلى" الذي يطرحه القرآن والسنة، وتجنب "المثل السوء" الذي ينهى عنه القرآن والسنة كذلك.

وهذه سمة تجعل من المرأة "زوجًا" أنثى تشارك "زوجها" الذكر في حمل مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دوائرها المختلفة.

المرأة الصحابية وتجسيد نموذج القوية ـ الفاضلة:

وكانت الانطلاقة التاريخية الكبيرة للمرأة حين جسدت ـ المرأة الصحابية ـ في عصر الرسالة نموذج (القوية ـ الفاضلة) التي تقوم بـ"العمل الصالح" وتقيم مؤسساته في الواقع اليومي الذي تعيشه، فكانت "عاملة" سباقة في حمل الرسالة والتضحية في سبيلها.

فأول مسلم كان امرأة هي خديجة بنت خويد ﵂ التي أظهرت من رجاحة العقل وسعة المعرفة ورباطة الجأش وهي تسمع خبر أول وحي على رسول الله ﷺ .

وأول شهيد في الإسلام كانت امرأة هي سمية بنت خباط التي كانت أمه حبشية بعيدة عن وطنها، بعيدة عن عوامل الإيواء والنصرة ومع هذا تحدت رؤوس الكفر حتى قضت في سبيل الله ﵂.

وأول عالم في مدرسة النبوة كانت امرأة وهي عائشة بنت الصديق التي أعطت حياتها كاملة للرسول ﷺ وراحت تحفظ كل ما يقوله حتى أصبحت المرجع والسند لكبار العلماء.

وأول مدير مخابرات كانت امرأة هي أسماء بنت أبي بكر الصديق التي نظمت هجرة الرسول ﷺ ووفرت له ولصاحبه كل ما يحتاجان من أسباب السلامة.

وأول مسلم من الفرس كانت امرأة حيث روى ابن حجر في كتابه ـ كتاب الإصابة جـ ٤، صـ ٣٢٩ ـ أن سلمان الفارسي قال: لما قدمت المدينة رأيت أصبهانية ـ أي من أصبهان ـ كانت قد أسلمت قبل. فسألتها عن رسول الله ﷺ فهي التي دلتني عليه.

وأول مسلم من الأفارقة كانت امرأة هي سمية التي جمعت بين السبق إلى الإسلام والسبق إلى الشهادة بعد أن تحدت رأس الكفر أبا جهل.

وعلى أيدي النساء المؤمنات أسلم كبار الصحابة كما حدث لعمر بن الخطاب ﷺ الذي تلقى الدعوة بنجاح من أخته فاطمة. ومثله عثمان بن عفان ﷺ الذي أسلم على يدي قريبته سعدة بنت كريز ـ كما يروي ابن حجر في كتاب الإصابة جـ ٤، صـ ٣٢٩، وكما حدث مع عبد الله بن عباس ﷺ الذي تلقى الدعوة من أمه أم الفضل وكانا من المستضعفين في مكة، وكما حدث مع علي بن أبي طالب ﷺ الذي لقي التشجيع للالتحاق برسول الله ﷺ من والدته فاطمة بنت أسد في الوقت الذي ظل والده حبيس أغلال الشرك مثقلاً بأصار التقاليد القرشية حتى وفاته دون إسلام.

وأول أمين على كتاب الله تعالى المصدر الصحيح لعقيدة الأمة ورسالتها في الحياة كانت امرأة وهي ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ ـ التي استمرت تحفظ في حجرتها أول نسخة من رقاع المصحف الشريف بعد رسول الله ﷺ وخلال سنوات خلافة أبي بكر وأبيها

عمر ﷺ حتى طلبها منها الخليفة عثمان ﷺ لينسخ منها نُسخًا وزعها على ولاية الدولة وأمصارها.

وفي الوقت الذي كان أبو جهل وعقبة بن أبي معيط وأبو سفيان يقودون مقاومة الإسلام ويؤذون رسوله ﷺ ويضطهدون أتباعه، كانت بناتهم يستأجرن الرواحل والأدلة ثم يخرجن مهاجرات إلى الحبشة والمدينة المنورة وهن لم يتجاوزن سن العشرين كما فعلت أم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ـ ودرة بنت أبي لهب.

وكانت هناك المجاهدات السابقات من أمثال أم عمارة، وأم سلمة، وصفية بنت عبد المطلب ﷺ، ومئات الصحابيات: اللاتي خصص ابن سعد المجلد الثامن من كتابه "الطبقات" حيث ترجم لغالب النسوة عن كل واحدة عددًا من السطور لا تسمن ولا تغني من جوع ثم استمر المؤرخون الإسلاميون يبخلون عن تفاصيل سير الرائدات المسلمات حتى جعلوا تاريخ المسلمين تاريخ ذكور.

وكانت هناك المعلمات ـ المربيات من أمثال الشفاء بنت عبدالله التي هاجرت إلى المدينة لتقف إلى جانب

الرسول ﷺ وتختص بتعليم النساء الكتابة والطب، ولتشارك بعده في السياسة والإدارة لتتولى منصب الحسبة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وهو منصب يقابل في زماننا عدة وزارات هي: وزارة الداخلية ووزارة الرعاية الاجتماعية ووزارة التموين ووزارة الثقافة.

وكانت المستشارات الحكيمات في مواقف التأزم كما فعلت أم سلمة ﷺ التي أشارت على الرسول ﷺ بعد احتجاج المسلمين على شروط صلح الحديبية أن ينحر هديه ويتحلل من إحرامه فيتبعه الجميع، فكان ما أشارت به وتوقعت نتيجته.

وكانت النساء المناقشات في مجالس العلم واستنباط الفقه في مسجد الرسول ﷺ أثناء حياته وفي زمن خلفائه الراشدين.

وكانت المجاهدات اللاتي نظمن المستشفيات العسكرية المتنقلة والفرق المساندة.

واستمرت المرأة الصحابية سباقة في حمل مسئولياتها، جريئة في أقوالها وأفعالها، والتعبير عن حاجاتها ـ حتى عن حاجتها إلى الزواج واختيار من فيه الأهلية والتكافؤ ـ لا يوقف إرادتها عن قول الحق وفعله

سطوة خليفة أو مهابة قريب أو نفوذ مسئول إلا ما كان من طاعتها لله وخشيته.

وكانت (فاضلة) في سلوكها الاجتماعي وفي تبعلها الأسرى تسبغ السعادة وتشيع السكن والمودة والرحمة في أسرتها، والأخلاق في مجتمعها تؤدي لزوجها وبنيها وأرحامها ومجتمعها حق الله دون ترخص أو حساب.

مشاركة المرأة المسلمة في حركات التجديد والإصلاح:

وفي كل عصر أحكمت حركات التجديد والإصلاح إعداد المرأة المسلمة كانت تخرج نماذج نسائية تحمل رسالتها "بقوة" وتسلك في مجتمعها "بالفضيلة".

وفي الفصول التي أوردتها في كتابي ـ هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ـ بينت أن الإعداد التربوي المحكم أدى إلى بروز شخصيات نسائية تتصف "بالقوة والفضل" من أمثال السيدة خاصة العلماء بنت المبارك، والسيدة شمس الضحى، وفاطمة الجوزدانية، وشهدة بنت أبي نصر، ثم كيف استمرت تلميذاتهن إلى جانب رجال جيل الجهاد كما فعلت زمرد خاتون زوجة عماد الدين زنكي، والسيدة عصمت الدين خاتون زوجة نور الدين، والسيدة الخاتون ست الشام

بنت أيوب أخت السلطان صلاح الدين، والسيدة فاطمة بنت سعد الخير زوجة علي بن نجا وأمثالهن من نساء جيل الجهاد. ويقيني أن جيل نور الدين وصلاح الدين ما كان بقدرته تحقيق المنجزات التي قام بها لو لم تخرج مدارس الإصلاح ذلك الجيل من النساء اللاتي ارتفعن إلى مستوى المسئولية والوعي بالتحديات المعاصرة.

واستمرت المرأة المسلمة حريصة على المشاركة في رسالة الإصلاح ونشر العلم وتلقيه، أمينة على أصوله ومنابعه إلى الدرجة التي جعلت الذهبي يقول: الكذابون من الرجال على حديث رسول الله ﷺ كثير ولكن لم يُرو أن امرأة كذبت قط. ولقد أورد المنذري في كتابه ـ التكملة ـ وابن عساكر في ـ تاريخ دمشق ـ، وابن خلكان في ـ وفيات الأعيان ـ مئات الشخصيات النسائية ممن شاركن مشاركة فعالة في خدمة العلم وأسهمن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن المؤرخين ـ وأخص منهم الإسلاميين ـ لم يعطوا المرأة المسلمة حقها في البحث والتأريخ.

من هذا النموذج القرآني والتطبيقات المؤمنة في عصر النبوة والخلافة الراشدة استلهم الشاعر الإسلامي جلال

الدين الرومي مواصفاته في الزوجة التي يريدها حين كتب يقول: "إنك زوجتي! والزوجة لا بد أن تتفق مع الزوج في الصفاء حتى تجيء الأمور وفق مصلحتهما.

فالزوجان يجب أن يكون كل منهما على مثال الآخر. ألا فلتتأملي زوجين من الأحذية أو النعال؟ فلو أن واحدًا من النعلين ضاق بقدمك فلا نفع لهذين النعلين عندك!

وهل بين مصراعي الباب واحد صغير وآخر كبير؟

أم رأيت ذئبة اقترنت بأسد الغاب؟

وليس يستقيم فوق ظهر الجمل زوجان من الحقائب إحداهما صغيرة والأخرى كاملة الاتساع. أنني أسير بقلب قوي نحو القناعة فلماذا تذهبين أنت إلى الشناعة؟

وأخيرًا، لا آخرًا، نرى اليوم أقبال النساء في أوربا وأمريكا وآسيا على الإسلام أضعاف إقبال الرجال، ونرى التزام المؤمنات منهن أقوى وأشد. ولقد شاهدت - أمثال ذلك بنفسي خلال زياراتي للجاليات الإسلامية في هولندا والدينمارك وبلجيكا وبريطانيا وأمريكا.

ب ـ نموذج المرأة القوية ـ غير الفاضلة:

يكشف البحث في تاريخ المرأة عن أن هذا النموذج من النساء يحققن منزلة عالية في المجتمع ولهن من المؤهلات العقلية والاجتماعية والشخصية ما يجعلهن جديرات بتولي المناصب والمشاركة في صنع القرار، ولكنهن ـ من ناحية أخرى ـ منحرفات الإرادة والاتجاهات، ولذلك يفضلن حياة الترف على التزام المبادئ الفاضلة ويسهمن في نشر "ثقافة السوء" وتطبيقاتها.

ففي سورة التحريم من القرآن الكريم يرد الحديث عن رائدات النموذجين من النساء، حيث يبدأ الحديث عن نموذج القوية ـ غير الفاضلة ـ ويمثل بذلك بكل من امرأة نوح، وامرأة لوط، ثم يتلوه الحديث عن نموذج المرأة القوية ـ الفاضلة ويمثل لذلك بكل من مريم ابنة عمران، وامرأة فرعون.

والبدء بالحديث عمن مثَّلنَ نموذج القوية ـ غير الفاضلة هدفه لفت الانتباه إلى خطورة الاقتران بهذا النوع من النساء لأنهن معوقات وفاتنات ومعطلات عن إيصال الرسالة إلى المرسل إليهم وسبب من أسباب الفشل

والهلاك، حتى ولو كان أزواجهن من الرسل المرسلين: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ القَانِتِينَ﴾[1].

ومثله قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[2].

وهذا النموذج من النساء يتصف بصفات ثلاث هي:

- العلم بوسائل الحياة والغياب عن غاياتها الإلهية والانحسار داخل دائرة الدنيا ونسيان الآخرة.

- غلبة الاهتمام بالذوق الجمالي والغفلة عن المبدأ الأخلاقي.

---

(١) سورة التحريم الآيات: ١٠، ١١، ١٢.

(٢) سورة المسد بالكامل.

- حصر الفضائل بالمتع الحسية، وحصر العلم بعلوم الدنيا وثقافة الاستهلاك والترف.

ولقد أفرزت الحضارة الغربية الحديثة العدد الأكبر من هذا النموذج النسائي في تاريخ الإنسانية كلها، والسبب أن الرأسمالية وفلسفات العلمانية صاغت شبكة العلاقات الاجتماعية على أساس "المطالبة بالحقوق"، وفي ظل هذا التصور تشكلت علاقة الرجل بزوجته وقامت على أصول كيفت واقع المرأة وحددت مساراتها المستقبلية.

وأول هذه الأصول هو المطالبة بما أسموه "حقوق المرأة". والتفكير بالحقوق وإن بدا براقا لامعًا إلا أنه اتجاه يجعل المرأة الحديثة لا تفكر إلا بما تأخذ. ولقد تصاعد التفكير بـ"الأخذ" حتى صار جشعًا وصراعًا مع الرجل، ثم تطور لينتهي إلى صدام مع "سنة الزوجية" التي مر شرحها؛ ثم صار لهذا الصدام مضاعفات وردود فعل سلبية من ذلك شيوع الطلاق وانهيار الأسرة وابتداع بدائل شيطانية للزواج الشرعي مثل حركة "النساء الشاذات" المعروفات باسم Lesbians وحركة الشاذين المعروفين باسم Gays[1].

(١) التربية الإسلامية لا توجه الإنسان إلى المطالبة بحقوقه وإنما توجهه إلى القيام بمسئولياته، أي هي توجهه إلى الاهتمام بما يعطيه للآخرين. ثم يتصاعد =

والأصل الثاني: أن نظام التعليم الحديث يعد المرأة للخدمة في اقتصاد السوق ومكانتها الاجتماعية تميل لصالح ـ مكان العمل ـ أكثر من البيت، ولذلك صار يتجاذب المرأة علاقتان: علاقة أفقية مضطربة مع زوج فقد قوامته وجاذبيته؛ إما لقلة معرفته وتدني مستوى ثقافته عن زوجته، وإما بسبب انحسار إنفاقه ومكانته الاجتماعية.

وعلاقة عامودية صلبة مع رئيس عمل أو مجموعة من الرؤساء يتحكمون بمصير المرأة الوظيفي وترقيتها وراتبها المالي وعلاواتها السنوية وأماكن عملها إلى ما هناك من جوانب حياتها. وهذه علاقة لم تحرر المرأة ولم تمنحها القوة الحقيقية وإنما جعلتها تستقوي على زوج البيت، وأجبرتها على تحويل طاعتها ونشاطها وزينتها وحسن تبعلها إلى مكان العمل حيث يتمتع الرئيس بغالب وأحيانا بجميع ـ ما كان يتمتع به زوج البيت، بينما لم يبق لزوج البيت إلا الكسل والضجر ورثاثة الشكل والسأم والبؤس ومريول المطبخ المنقوش والشعر

= العطاء حتى يصبح إيثارًا يغذي الحب ويقوي الروابط ويهذب العلاقات حتى ينتهي بصاحبه إلى أن يتصف بصفة القوي ـ الفاضل أو ـ القوية ـ الفاضلة.

المضـطرب المـنكوش. ولم يـبق للبـنين والبـنات إلا دور الحضـانة ورياض الأطفـال الـتي تنشـئهم عـلى ثقافـة القطيع ـ حيث الطاعة العمياء والسلوك المقولب.

وبسـبب ذلـك كلـه يـتقرر مصير الأسـرة الحديـثة طـبقًا لمحصـلة الـتجاذب المتضـاد والتصـارع بـين متطلـبات مكـان العمـل ورؤسـائه مـن ناحـية وبـين متطلـبات البيـت ومـن فيه مـن الأزواج والأبـناء والبـنات مـن ناحـية أخـرى. كذلـك يـتقرر نـوع الأخـلاق والعلاقـات الـتي تسـود مكـان العمـل وتمـتد خارجـه إلى العلاقـات العامـة في أمـاكن الحـياة الأوسع بيئة، وأكثر أناسًا.

لقـد بـدت هـذه المضـاعفات السـلبية في الحـياة الحديـثة في أمـريكا وأوروبـا، ونهـض مـئات المفكـرين والعـلماء بالبحـث فـيها ونشـروا عـنها الكـثير مـن الكتـب والأبحـاث، ومـازالوا يكتـبون وينشـرون حـتى الوقـت الحاضـر. ولا يكـاد يمـر يـوم عـلى المجـتمع الأمـريكي إلا وتصـدر كتـب وتنشـر مقـالات تـنعى تدمـير الأسـرة وانـتقاص إنسـانية المـرأة، وتكـاد تكـون إعـادة التماسك الأسـري هـى القضـية الرئيسـية الـتي تحـتل مكـان الصـدارة في ذلـك المجـتمع ونشـاطات الجمعـيات والمـنظمات فـيه، ولعـل مـن المناسـب أن نقـدم

بعض الأمثلة لنشاط الباحثين والكتاب هناك. من ذلك ما كتبه الروائي الأمريكي ـ فيث بالدوين Faith Baldwin عام ١٩٢٩ في روايته ـ زوجة المكتب The Office Wife ـ والتي أعيد طبعها عام ١٩٩٣م. وهو أيضًا ما أدركته الباحثة الاجتماعية البروفسورة ـ تيري أبتر Terri Apter ـ حين أعطت كتابها هذا العنوان الساخر: (النساء العاملات ليس لهن زوجات Working Women don't have Wives).

كذلك كتبت كل من روزلين فلدبيرج وجانيت كوهين بحثًا مشتركًا بعنوان: (الحياة الأسرية في نظام ضد الأسرة Family Life in an Anti-Family life). ولقد فصلتا في التناقضات التي يفرزها النظام الرأسمالي في حياة الأسرة حتى ينتهي بها إلى الطلاق، وأخذت الباحثتان على العلماء عدم تحميلهم مجتمع الرأسمالية مسئولية تدمير الأسرة وشيوع الطلاق.

ومثله البحث الرصين الذي كتبه البروفسور ميشيل جوردون بعنوان "الأسرة الأمريكية" حيث بدأ بفصل عما تعنيه "الأسرة والحياة الأسرية" في أصول المجتمع ثم تتبع التطورات التي مرت بها هذه الأسرة في ظل هيمنة

النظام الرأسمالي الذي مزق الروابط وحطم الأخلاق والعفاف فظهر ما أسماه "مجتمع موانع الحمل" ومجتمع "الانتقال من الزواج إلى المصاحبة" ومجتمع "العزوبية والعشاق المتحررين من الحرام والفضيلة" ومجتمع "الطلاق أو البحث عن الذات".

ومثله المؤلف الذي وضعته البروفسورة ـ آن اؤكلي Ann, okley ـ بعنوان: (عمل المرأة Woman Work) حيث عرضت مسئولية الشركات والرأسمالية الجشعة في الجناية على الكثير من قيم الأسرة ووظائفها. ومما قالته في هذا المجال: "ليس بالإمكان القيام بمتطلبات مكان العمل الحديث كاملة دون أن ينال ذلك من الحاجات الإنسانية للطفل. ويحاول صانعو لعب الأطفال أن يجعلوا منها بديلا لحنان الأم التي انتزعها العمل من البيت. ولكن اللعبة كائن من الجماد الذي لا يعطي إلا خيالاً زائفًا لا يلبث أن يكتشف الخداع فيه. لذلك ربما كان من أكبر مظاهر الأسرة المعاصرة، هو فشلها الأكبر في إعطاء الطفل المقدار المناسب من الحنان، الذي يغذي حاجته إلى الحب".

ولا ننسى المجموعة الشاملة التي ضمت ٦٣ بحثًا رائعًا والذي قام بتحريرها وتنظيمها في مجلد واحد كل

من - إليي أدمز Elsie Adams وماري لويس بريسكي Mary Louise Brisco وأعطياه عنوانًا كالتالي: (عاليا ضد جدار الأمومة Up Against the Wall, Matheer) والمحور الرئيسي الذي تدور حوله هذه الأبحاث هو اكتشاف المعاناة وحياة الاضطراب التي تعاني منها الأسرة القائمة في ظل الرأسمالية الحديثة "والتي ترفع شعار العولمة".

ولقد استمرت هذه الحملة المعارضة لعمل المرأة الأمريكية في إدارات شركات العولمة ومصانعها وأسواقها، وهي الآن تحقق نجاحًا كبيرًا. إلا أن هذا النجاح قد أفرز أثاره السيئة في العالم الإسلامي فقد أخذت شركات العولمة تنقل مصانع الغذاء ومواد الاستهلاك من الغذاء والكساء إلى الأقطار الإسلامية لتعمل فيها الزوجات والأخوات والبنات إلى جانب فتيات يستوردن من كوريا والفلبين وأقطار الأرض ليدربن المسلمات على الوقاحة ويسهلن لهن ارتكاب الفاحشة واقتراف المنكر. وتظهر المشكلات في العالم الإسلامي وتنتقل إليه المضاعفات المرضية بمقدار استيراده لمفاهيم عمل المرأة الذي أفرزته الرأسمالية وسياسات العولمة في الإنتاج والاستهلاك. وهذه المضاعفات هي بعض ما حذر منه رسول الله ﷺ

عندما قال: "إني لا أخشى عليكم الفقر ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا كما فتحت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم".
والواقع أن النظر الدقيق في إشكالية العمل في الحضارة المعاصرة يكشف أن المشكلة تكمن في أمور ثلاثة: الأول تعريف ـ العمل ـ والثاني عدد ساعات العمل اليومي. والثالث موقع العمل وبيئته.

أما عن تعريف ـ العمل ـ فإنه في فكر الحضارة الحديثة وتطبيقاتها يعني: كل جهد يبذله الإنسان ويجلب مالاً دون نظر في مضاعفاته الاجتماعية والإنسانية. فالمال هو الهدف في الحياة وحول المال تتمحور قيم العمل. ولذلك يصبح كل شيء وسيلة لجمع المال، وأفضل هذه الوسائل هو الإنسان، وأبرز أفراد الإنسان هي المرأة وجسدها، ولذلك ركز رجال الأعمال على استثمار أنوثتها لجمع المال حسب مؤهلاتها العقلية والنفسية والجسدية.

أما "العمل" في المفهوم الإسلامي فهو كل جهد يسهم في سلامة النوع البشري ورقيه.

فالإنسان هو الهدف وحول الإنسان تتمحور قيم العمل وما المال إلا بعض تطبيقات "الماعون" الذي يعين على بقاء النوع الإنساني ورقيه.

ولقد أعد الله سبحانه وتعالى المرأة لتكون "الخبير" الأول في صناعة الإنسان، وجعل عطاءها ثلاثة أمثال عطاء الرجل.

وهذا ما أخبر به الرسول ﷺ حين جعل "بر الأم" - أي إكرامها والإحسان إليها - ثلاثة أمثال "بر الأب".

ولكن الرأسمالية ألغت هذه المكافأة الإلهية ودفعت للمرأة "العاملة" في مصانعها ومؤسستها راتبًا ماليًا وضيعًا لا يوفر لها أمنًا ولا كرامة. وتسترده منها مقابل ثوب أو حذاء تشتريه من معارضها وأسواقها. ولقد بدأت الهيئات الاجتماعية - حتى الرسمية في الولايات المتحدة الأمريكية في إدراك هذه الحقيقة. وهي ما أشار إليها تقرير اللجنة التي شكلتها الإدارة الأمريكية عام ١٩٧٠ برئاسة - جيمس أتوني - والذي حمل عنوان - العمل والتربية - أو Work and Education. فقد جاء في التقرير المذكور أنه من السخافة أن تعتبر مربية الأطفال Baby Sitter عاملة لأنها تتقاضى أجرًا مقابل

عملها، بينما لا تعتبر الأم عاملة لأنها تربي أطفالها مجانًا رغم الفارق النوعي بين عمل الاثنتين.

وفي الكتاب الشهير الذي كتبه عالم الاجتماع الأمريكي ـ كريستوفر لاش Christopher Lash ذكر المؤلف أن الأسرة هي الملاذ الأخير في عالم قاس لا قلب له. وللحفاظ على الأسرة دعا إلى إعادة النظر في نظام عمل النساء بحيث يتسع لهن الوقت للقيام بالوظيفة الأسرية، ومما كتبه في هذا المجال ما يأتي:

"هناك حاجة ماسة للنظر في مشكلة عمل النساء بأسلوب أكثر جرأة مما قامت به الحركة النسائية (في أمريكا). إذ الواجب أن نبحث هذه المشكلة باعتبارها حالة خاصة تتصدر مشكلات الأسرة وقضاياها. إن أخطر اتهام يوجه إلى نظام العمل القائم، هو أنه يجبر النساء على الاختيار بين أمرين لا يمكن التنازل عن أحدهما: **الأول**: رغبتهن في الاكتفاء الاقتصادي. والثاني: حماية الطفولة. فالواجب علينا إزاء هذه المشكلة الخطيرة أن نفكر في كيفية مراجعة نظام العمل وطبعه بالطابع الإنساني لتتمكن النساء من الاطمئنان على أسرهن بدل

أن نلقي باللائحة على النظام الأسري، وبدل أن نتداعى إلى تحرير المرأة من الأسرة"[1].

أما عن الأمر الثاني ـ أي عدد ساعات العمل ـ فإن الحضارة المعاصرة التي توجهها الرأسمالية قد أفرطت فيها بحيث جعلت النهار كله ـ وأحيانا تضيف إليه الليل ـ للاشتغال بالإنتاج في المصنع أو الدائرة، ولم تترك لأي من العامل أو العاملة ـ خاصة الوالدين ـ ساعة واحدة للاشتغال بإعداد الإنسان ورعاية الأسرة. وكانت ثمرة ذلك كله إسرافًا في الإنتاج وتبذيرًا في الاستهلاك، واستنزافًا لمصادر الثروة الطبيعية والبشرية، وتلوثًا في البيئة. وهذا ما يناقشه ألوف المختصين بعلوم البيئة وعلوم الاجتماع والصحة والتربية والنفس ويطلقون صيحات التحذير والإنذار من أمثال: فرتز شوماخر، ورينه دوبوا، وأرنست دانيال، وأنصار البيئة، وغيرهم الكثير. وجميع هؤلاء يرفعون أصواتهم بالدعوة إلى الاقتصاد بالإنتاج والاستهلاك والتوازن في توزيع العمل بين الجماد والإنسان والأفكار شعارهم في ذلك الاكتفاء

(1) Christopher lasch, Haven in a Heartless World: The Family Besieged. (New York: Basic Books, Inc. pubshire, 1977, xx PP.xvil

بالقدر الضروري ـ كما يقول فرتز شوماخر في كتابه ـ القليل جميل Small is Beautiful ـ والناظر في الكتابات الكثيرة التي تعالج هذه الموضوعات يتبين الحكمة البلاغية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[1] هم إخوان الشياطين لأن آثار عملهم في الفساد والإفساد كآثار أعمال الشياطين.

وكم يكون ملائمًا لو أن ساعات العمل قسمت إلى قسمين: العمل في المصانع والدوائر إلى الساعة الثانية، وعمل في البيت يركز على صناعة الإنسان ورعاية الأسرة. إذن لتجنب الناس الكثير من ظواهر التشريد وتعريض الأسرة للتفسخ والانحلال.

وأما عن الأمر الثالث ـ أي موقع العمل وبيئته فإن أنصار "التعليم من أجل سوق العمل" يقصدون به إخراج المرأة للعمل في سوق الاقتصاد العالمي الذي تتحكم فيه الشركات عابرة القارات والمتمركزة في مراكز الرأسمالية العالمية ومراكز وكلائها في أقطار العالم الثالث.

ولذلك فهم يهملون العمل الذي يتمركز حول موارد البيئة المحلية وحسن استثمارها من أجل الحاجات

(١) سورة الإسراء الآية: ٢٧.

المحلية في ميادين الحياة القائمة في أطر القيم المحلية الخصوصية الحضارية. ولذلك يهملون ـ في الأقطار العربية الإسلامية ـ تنمية "إنسان المنطقة" إلى الدرجة التي تجعله قادرًا على تلبية الحاجات ومواجهة التحديات ويهملون تنمية الموارد المحلية ـ خاصة الزراعية وتطويرها ـ من أجل استيراد منتجات الرأسمالية العالمية ويعملون على إعداد الفتاة المسلمة للعمل في أسواقها ومؤسساتها دون ضابط من الأخلاق والدين. ولتوفير هذا النوع من البيئات المنفلتة تقام المؤتمرات وتصدر التشريعات، ويوجه الإعلام لإفراز بيئة ينتفي منها الاحتشام وتفرز المرأة القوية ـ غير الفاضلة.

جـ ـ نموذج المرأة الفاضلة ـ الضعيفة:

وهذا نموذج النساء اللاتي تحكمهن مقاييس الشرف والعار والتقاليد الصارمة والأعراف العصبية المحافظة. والغالب على هذا النموذج مراعاة العفة ولكنها مقرونة بثقافة القولبة العقلية والإرادية، والتفكير الذري الذي لا تضبطه مقاييس منطقية والاحتكام الدائم إلى ما يقوله الناس، مع أن الناس هم شخصية اعتبارية قد لا يمثلها في عالم الواقع سوى نفرين أو ثلاثة، أو قد لا يكون لهم

وجود أبدًا. ولو أن هذا النموذج من النساء سافرن إلى قارة آسيا لاحتكمن إلى "ماذا سيقول بالناس" مع أن الناس لم يعرفوها أو يعرفوا بعد.

وهذا هو النموذج السائد في الأقطار العربية والإسلامية، وهو أيضًا نموذج المرأة عند كثير من الإسلاميين المعاصرين الذين يحاربون الوأد الجسدي للمرأة، ويصرون على بقاء الوأد الاجتماعي. والتدين عند هذا النموذج يتمركز حول الشكل الخارجي دون المضمون العقدي أو الإرادي. ويتصف هذا النموذج بصفات ثلاث هي:

١- سطحية العلم - أو عدمه - بغايات الحياة ووسائلها. والحياة بالنسبة لهن - إن كانت محافظة - لا تتعدى حدود البيت: ونشاطها خروج من البيت مرتين: مرة إلى بيت الزوج عند الزواج، ومرة إلى القبر عند الممات كما يردد بعض المتعصبين. أما إذا كانت غير محافظة فالحياة بالنسبة لها جري وراء الشهوات واحتكام للأهواء. أما الحرية فهي انفلات من القيود وتمرد على الأخلاق دون ضابط أو حدود.

٢ـ التقليد والاحتكام إلى ما يقوله الناس والاستشهاد بالأمثال الشعبية السائدة.

٣ـ التكيف مع متطلبات البيئة المحيطة وشدة التأثر بتياراتها سلبًا أو إيجابًا.

والسمة الغالبة على هذا النموذج هو ممارسة الشعائر ـ إن كانت محافظة ـ مع الاغتراب عن حاجات العصر وتحدياته إلا ما كان من الاستجابة للموضات والموديلات التي تبشر بها أدوات الاتصال وأجهزة الإعلام.

والعلاقة في أسرة هذا النموذج النسائي ـ علاقة عامودية ـ تتألف من رجل يهيمن هيمنة مطلقة بسبب ذكورته وامرأة مستضعفة استضعافًا مطلقًا بسبب أنوثتها. وأساس القوامة في هذه الأسرة أوامر غير مفهومة ولا مبررة، وتقوم على القوة أكثر من التوجيه والإرشاد. ولذلك تنسحب المرأة فيها من المشاركة وتكتفي بتنفيذ الأوامر، ويتحين الأبناء والبنات الفرص للانعتاق من أغلالها ومن "أصارها" الصارمة.

وهذا النموذج من المرأة وأسرتها في انحسار دائم أمام وسائل الاتصال الحديثة وبرامج التحديث، ومخططات العولمة التي تهددها بالتمزق والتحول إلى أكوام من الرقيق

الأبيض، والعمالة وعارضات الأزياء والخدمة الرخيصة فى مكاتب شركات العولمة وبيوت الأثرياء. وفي المدن الصناعية وأسواق الاستهلاك الحديثة التي يبنيها وكلاء المنتجات التي تصدرها الشركات العالمية إلى أقطار العالم الثالث ومنها الأقطار العربية والإسلامية.

د- نموذج المرأة المستضعفة- غير الفاضلة:

وهذا نموذج النساء اللاتي يفشلن في الحصول على وسائل الحياة الشريفة ومصادرها. إما لأنهن شظايا أسر تحطمت، أو لأنهن ثمرة زواج غير شرعي، أو لأن الفرص لم تتوافر لهن للحصول على المقدار المناسب من التعليم الذي يوفر لهن العيش الكريم. ونتيجة لذلك يقع هذا النموذج من النساء ضحية ـ اقتصاد السحت كما يسميه القرآن الكريم ـ أي الاقتصاد الذي يسحت ويستأصل الأخلاق والمقدرات المعنوية والمادية.

ويندرج تحت هذا النموذج من النساء قسمان يتفاوتان في درجة الاستضعاف وغياب الفضائل. والميزة الرئيسية للقسم الأول هى ـ خداع الذات وانتفاخ الشخصية وتقلصها. نتيجة لما تقوم أجهزة الإعلام من نفخ زائف لهذا القسم وتصويره بصورة تخالف جوهره

ومنزلته الاجتماعية فهن "نجوم الفن" و"ملكات الجمال" و"نجوم الشاشة والتلفاز"، و"رائدات الفنون الشعبية" بهن تزخر الاحتفالات الرسمية والأعياد الوطنية وعلى شاشات الفضائيات، والصحافة العالمية تظهر صور صاحبات هذا القسم بأشكال ترسم للناشئة القدوة التي توصلها إلى متع الحياة ولذاتها.

وإلى هذا القسم من النساء كانت الإشارة في الحديث النبوي القائل:

"صنفان من أهل النار لم أرهما: رجال يضربون الناس بسياط كأذناب البقر، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يشممنا ريحها، وإن ريحها على بعد مسافة كذا وكذا".

والحكمة من الجمع في الحديث بين الرجال الذين يضربون الناس بسياط كأذناب البقر، وبين النساء العاريات الكاسيات .. إلى آخر الوصف هي أن كلا الفريقين يعملان لخدمة شر واحد مستطير.

ذلك أن الأنظمة الظالمة، تستعمل فريق الرجال لتعذيب المعارضين والتجسس عليهم وتطاردهم وتأخذهم بالاعتقال والنفي والعقوبات القاسية. وتستعمل فريق

النساء الكاسيات العاريات لإلهاء قطيع الشعب الغارق في شهواته، ومتوقفا عن التفكير بالمآسي والمشكلات ومضاعفات الظلم الذي يعاني منه. وتكاد همم هذا القسم متوقفه عند ما يدخل معدها وما يخرج منها وباللباس الذي يزين أجسادها. فهن أدوات يتم من خلالها إلهاء الجماهير وترقيصها في الساحات العامة تحت عناوين "تشجيع الفنون الشعبية" و"تنمية السياحة" و"مهرجان الفنون" و"انتخاب ملكات الجمال" إلى غير ذلك من يافطات.

أما القسم الثاني فهو وإن عمل في نفس التخصصات إلا أنه لا يتمتع بالبهرجة والزخرفة التي يتوهم القسم الأول أنه يتمتع بها. ويضم ـ القسم الثاني ـ هذا أعداداً هائلة من الفتيات والنساء الشابات اللاتي ينخرطن في خدمة مؤسسات السياحة الترفيهية. وإدارات الفنادق، وشركات العولمة، وعرض الأزياء، وإعلام الجنس، ومهنة البغاء المنظم.. إلخ.

والسمة الرئيسية لهذا القسم من النساء هي ـ انتقاص الذات ـ أي هوان النفس والتقليل من قيمتها إلى حد الابتذال. والسبب في هذا السلوك هو الخبرات القاسية والمعاملة اللا إنسانية.

ولذلك لا يرى أصحاب هذه النفوس أية غضاضة في السقوط والبذاءة والانحدار بالقيم وسلاطة اللسان وبذاءة الألفاظ.

ولقد ازدادت أعداد هذا القسم بشكل هائل بعد الهزات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أصابت أقطارًا كثيرة في العالم مثل انهيار الاتحاد السوفيتي والحروب التي شنتها أمريكا في وسط أوربا والشرق الأوسط والشرق الأسيوي حيث ازدادت البطالة وقتل ملايين الرجال وشردت النساء والأطفال وأصبح البقاء على قيد الحياة هدفًا لغالبية الناس. فظهرت لذلك تجارة الرقيق الأبيض وطلبات الهجرة للعمل فاستثمر هذه الحالة الرديئة الكثير من عصابات المافيا، وإدارات البوليس خاصة في الدول الشرقية. كل هذه الأطراف اتفقت مع نظائرها في مختلف أقطار العالم على تصدير واستيراد آلاف الفتيات سنويًا تحت ستار العمل ليفاجئن هناك بعدم وجود العمل الشريف. وليطلب إليهن التعايش مع المقصد الحقيقي من استقدامهن. وتقدر الإحصاءات التي تنشرها مجلات فرنسية وبريطانية أن أعداد البغيات اللاتي استقدمن من دول الاتحاد السوفيتي السابق بلغ عام ٢٠٠٣ حوالي ٤ ملايين في

غرب أوربا وأن إدارات المافيا التي تدير أعمال البغاء هذا لجأت إلى اغتيال من هناك من الفتيات المغربيات حيث هربن إلى جنوب أسبانيا المعروفة باسم (الأندلس).

٤ـ١ لفتاة المسلمة وريادة تحرير المرأة في عصر العولمة:

بعد هذا الاستعراض لنماذج المرأة الأربعة يخلص البحث إلى عدد من الأمور: أولها إن الأسرة السليمة لا تُبنى ولا النهضات تقوم إلا إذا تكاملت جهود الرجل القوي ـ الفاضل مع جهود المرأة القوية ـ الفاضلة.

والأمر الثاني إن إخراج النموذج القرآني للمرأة الموصوفة بالقوة والفضل أصبح هدفًا تربويًا عامًا عالميًا ومطلبًا إصلاحيًا في مجتمعات العالم كله. وهذا يعني أنه اصبح على الفتاة المسلمة المعاصرة مسئولية نحو نساء الأرض كلهن وأن عليها أن تقدم المثل الأعلى وريادة تحرير المرأة في العالم كله.

ولكن المشكلة في هذه المسئولية النسائية أنها لا تتحقق إلا ببروز نظام تربوي محكم التطبيق الأمر الذي يتجاوز الأغلبية الساحقة من الإسلاميين الذين يهدرون الطاقات في الخطب والكتابات العاطفية المثيرة للحماس عند الناس، أو أن الدعوة تنتهي عند المناداة باحتشام

الجسد دون العقل أو النفس، وهذا يعني أنه لا بد من ظهور مدرسة فكر إسلامية تجيد التنظير للنموذج الذي تدعو إليه، وفي هذا المقام أرجو أن أستسمح دعاة البلاغة الحماسية لأقول إننا بعد لم نحسن القول الذي يمكن أن يتحول إلى عمل صالح، وإن إتقاننا التنظير مقدمة لإتقان العمل، لأن العمل يولد مرتين: ولادة تفكيرية وولادة عملية. وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(١).

فالقول السديد ـ أو التنظير الصائب ـ أحد مقدمتي العمل الصالح وغفران الأخطاء التي ترتكب خلاله. فالعمل هنا ينقسم إلى قسمين: قسم يقوم به الإنسان المؤمن ويتألف من اتقاء الاصطدام بسنة الله وتوجيهاته في العمل. ثم صياغة الصورة النظرية لهذا العمل، وقسم يقوم به الله ويتألف من جعل هذا العمل صالحاً ومحققاً لأهدافه. ومن تجنيب المؤمن العامل مضاعفات النقص والأخطاء التي تصاحب ممارسته .

---

(١) سورة الأحزاب آيتين: ٧٠-٧١.

ولعل أول عناصر القول ـ أو التنظير ـ السديد أن نقول: إن نماذج المرأة التي تطرح في وقتنا المعاصر لا تجسد نموذج المرأة المطلوب. ولعلي أصدم القارئ حين أقول إن كلا الفريقين من الباحثين في قضايا المرأة: فريق الإسلاميين، وفريق العلمانيين، لا يزالا بعيدين عن الوعي بحقيقة المشكلة التي يعالجونها وكتبوا عنها مئات الكتب والمقالات لأن كلا الفريقين ما زال يستورد نموذج المرأة، أو يقلد فيه، **الأول** "آباءه" يقلد الماضي كله ويتلقى كل ما انحدر عن "الآباء" الراشدين والضالين من نماذج اختلطت فيها صور الفقه الصائب مع الفقه الخاطئ، وتقاليد الجاهلية مع تقاليد الإسلام. **والثاني**: "مغترب" يستورد من الغرب الحديث نموذج المرأة كما يستورد أجهزة التكنولوجيا. وهو في استيراده لا يتفحص جميع النماذج القائمة في المجتمعات الغربية وإنما يقتصر على النموذج الرخيص الذي تصدره مؤسسات التربية والثقافة العاملة في خدمة البنك الدولي والرأسمالية العالمية وأسواقها.

لذلك لا فرق بين النموذجين فكلاهما: "اغتراب" عن الواقع الحاضر، وتعطيل للعقل وتكريس للتقليد وإن اختلفا في الأزمنة والأمكنة.

إن أزمة المثقف والمفكر والعالم والفقيه في الأقطار العربية والإسلامية المعاصرة هي أن الواحد منهم مازال حبيس التلقين وأنه لم يتقن من مستويات القراءة إلا قراءة النصوص المكتوبة، وأنه عاجز عن قراءة الأحداث الجارية، عاجز عن قراءة آيات الله في الآفاق والأنفس. وهو في أزمته هذه مازال يخلط بين "التنظير العلمي" و"اللغو الكلامي". فالتنظير تحليل للواقع وتشخيص يجلي المشكلات ويؤدي إلى العلاج وخطة العمل. أما "لغو الكلام" فهو انفعالات وردود أفعال وترديد لما يسمعه الإنسان العربي المعاصر طالبًا على مقعد الدرس، وما تلقيه إليه أجهزة الإعلام إن كانا مواطنا، وما ينحدر إليه من الماضي إن كان مثقفًا أو متعلمًا. فهو متسول ثقافة، مستهلك أفكار ومقولات تقدم له جاهزة معلبة ثم يجترها في دفتر الدرس أو الصحيفة أو الكتاب أو المحاضرة أو الحديث التلفزيوني. يلقيها المقلد القديم بمنهج ـ الكنتي ـ أي الذي لا يتوقف عن رواية: كان السلف.. وكان الأجداد.. وكانوا.. وكانوا.. ولا شيء غير "كان وكانوا" ويلقيها المقلد الجديد بمنهج ـ العندي ـ أي الذي لا يتوقف لحظة عن ترديد، (عند أوربا) و(عند أمريكا) و(عند ديوي) و(عند ماركس) و(عند دوركهايم)

و(عند بيكاسو) وعند وعند.. ولا شيء غير هذا العنديات ـ المترجمات المستوردات.

هذه الإشكالية الفكرية جعلتني في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي أشك في كل ما درسته على مقاعد الدرس ودفعتني إلى الانزواء في المدينة المنورة ومكة المكرمة مدة خمسة عشر عامًا أراجع ما في نفسي وأشكال تفكيري ومحتويات رأسي. وفي خضم هذه المراجعة حاولت التحرر من منهج "الكنتيين" ومنهج "العنديين" في البحث عن نموذج الإنسان القرآني وتطبيقاته التاريخية ومنه نموذج المرأة. وفي خضم مراجعتي وتفاعلي الفكري والوجداني مع قضايا الرجل وقضايا المرأة كنت أدرس مجموعة من الطلاب الأفاضل والطالبات الفاضلات في جامعة الملك عبد العزيز وجامعة أم القرى لمرحلة الماجستير والدكتوراه أصول التربية الإسلامية ونظرياتها وأهدافها ومناهجها وتاريخها، وفي الوقت الحاضر درست ومازلت أدرس نماذج من الفتيات الفاضلات في جامعة الشارقة يجسدن نفس النموذج ويتصفن بنفس الصفات. ولكم سرني يقظتهن العقلية وحماسهن العلمي وتفاعلهن الأصيل ـ المعاصر.

وكانت حصيلة تفاعلي مع هذه النماذج من الطلبة هي أن تجربتي في التدريس الجامعي عشرين عامًا لم انقطع خلالها عن السفر إلى أقطار العالم والتفاعل الفكري والاجتماعي مع التيارات العالمية، جعلتني أصل إلى النتيجة التي تجعلني أقول جاء دور الفتى المسلم والفتاة المسلمة ليقدما للعالم المعاصر الحائر على مفترق الطرق نموذج الإنسان المتحضر الراقي الذي يحيط بغايات الحياة ويحسن استعمال وسائلها ثم يترجمها في حضارات تحافظ على النوع البشري ورقيه.

نعم لقد جاء دور الإنسان المسلم الذي أعطى المنطقة العربية وما وراءها الدين واللغة والقيادة منذ أكثر من ألفي عام، وإنه بشخصيته الحاضرة ـ مهما تكن ـ يعد أفضل النماذج تمسكًا بالهوية الإنسانية، وأصوب تفاعلاً مع التيارات الجارية.

أنا لا أقول إن الإنسان المسلم بتكوينه الحالي هو نموذج الإنسان المطلوب. ولكني أقول بأنه أفضل المواد الخام البشرية. كما أن منطق الحق نفسه يجعلنا نقول إن تاريخ الإنسان المسلم أثبت أنه يقوم بدورين متناقضين:

الـدور الأول: حـين تسـخره البيـئة ومـا تفـرزه مـ
تقالـيد تضـعف تـأثير الديـن في حـياته فينحسـر في سجـ
"عصـبيته" ويكـون مـن مضـاعفات هـذا السـجن "فظاظـ
وغلظـة" في الـتعامل، و"غـزو وعـدوان" عـلى أبـناء أمـته
وارتكاسـة في "الأمـية" التعليمـية والفكـرية، وركـون إ
العجز والكسل، وجمود عن مسايرة متغيرات العصر.

والـدور الـثاني: حـين تحكـم التربـية الإسـلامي
تزكيـته وتوجـيهه لـيقرأ باسـم ربـه، لا باسـم نفسـه، و
باسـم عصـبيته القبلـية أو العرقـية. عـندئذ تـتحو
"عصـبيته" المـنغلقة إلى "انـتماء إيمـاني" تسـتظل الإنسـاني
كلـهـا بظـل هـذا الانـتماء، وتنقلـب "فظاظـته وغلظـته" إ
وجـدان رحـيم بعـوالم الإنسـان والحـيوان والنـبات والجمـاد
وتـتحول "عدوانيـته": إلى "جهـاد" لنصـرة العـدا
والإحسـان، وتـتحول "أميـته" إلى شـغف بالمعـرفة وطلـب
لـلحكمة وأنـي وجدهـا فهـو أسـرع الـناس لطلـبها، ويـتحو
"عجـزه وكسلـه" إلى عمـل صـالح نـافع في الدنـيا والآخـرة
ويـتحول "جمـوده" إلى تجديـد ينـتج أرفـع وأسمـى الـثقافات
ويشيد أرقى الحضارات.

فمثله في ذلك مثل الشجرة التي إذا رواها الماء أينعت جذورها وساقها وأغصانها وأوراقها وتعاونت لتوفير الظل الوارف والثمر اليانع. أما إذا انقطع الماء تحولت إلى أشواك يابسة لا توفر ظلاً ولا تعطي ثمرًا. والشجرة هنا هي الأمة بثقافتها وشعوبها وقبائلها وأسرها وأفرادها. والماء هو الإسلام بحيويته وفاعليته.

وانطلاقًا من هذا القانون التاريخي لعل مقتضيات التواصي بالحق والتواصي بالصبر تفرض علينا أن نقول لـ"المسلم المعاصر" إنه اليوم يمر بفترة "ابتلاء إلهي" أي امتحان واختبار ـ مادته أمران:

الأول: هذه الخزائن الإلهية البترولية، وأنه لذلك بحاجة إلى تدبر بصائر القرآن التي تتلو عليه أن الله أرسل الرسل وأنزل الآيات ليقوم الناس بالقسط أي العدل. والإحسان وأنزل ميزان الشرع ليقيس الناس به تطبيق العدل. وأنزل الحديد وأمثاله من المعادن الثمينة ليعمل من يستعملها في إقامة حضارات العدل التي ينتفع الناس خلالها علميًا وتقنيًا في أيام السلم، ومن يحولها إلى بأس شديد ينصر به العدل ويحمي رسالته

ويقيم مؤسساته: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَه بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١).

والثاني: هذه الهجمة العالمية ضد الإسلام والمسلمين تحت ذرائع زائفة من تهم الإرهاب الذي لا يمارسه إلا المتشدقون بمحاربته، إن رحمة الله في هذه الهجمة واضحة تنطق بدون لسان وتقول للمسلم المعاصر: إلا تنصر الإسلام وتعش تعاليمه في الوحدة والمنعة والاستقامة تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، وستكون أنت أول ضحايا هذه الفتنة وهذا الفساد ثم لا تجد من دون الله وليًا ولا نصيرًا.

ومن البديهي أن لا تقتصر مسؤولية نصرة الله ورسله على المسلم الرجل وإنما تمتد لتشمل "الفتاة المسلمة المعاصرة" وأنها أيضًا "مبتلاة" ـ أي ممتحنة. فإما أن تبذر نعمة الله في أسواق الاستهلاك والترف، وإما أن تنفقها لتقديم نموذج المرأة المسلمة التي تتصف بالقوة والفضل كما قدمت ذلك وبدأته خديجة بنت

---

(١) سورة الحديد آية: ٢٥.

خويلد وأخواتها الصحابيات ﵅ في عصر النبوة وفجر الرسالة. صحيح أن التحدي كبير.. كبير.. وأن الدرب طويل.. طويل.. ولكن العولمة نقلت المعركة إلى حصن المرأة المسلمة حتى دخلت غرفة نومها وأصبحنا في خضمّها وليس لنا إلا الصبر في البأساء والضراء وحين البأس، والتعوذ بالبصيرة القرآنية التي تتلو في أسماعنا أن ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

٥ ـ الاحتشام والسلوك الفاضل ـ القوي رسالة عالمية وعطاء حضاري:

لا تقف رسالة الفتاة المسلمة المعاصرة عند الحفاظ على الخصوصية الأخلاقية للمرأة المسلمة وإنما تمتد وتتسع لتصبح رسالة عالمية وعطاء حضاريًا يسهمان في تقديم نموذج الحياة الفاضلة للمجتمعات المعاصرة الباحثة عن الاستقرار والاستمتاع بنعم الله في العلم والتكنولوجيا بأمن وسلام.

وللوقوف على أهمية هذه الرسالة وثمارها المؤملة لا بد من الوقوف على أمرين هما:

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠.

الأول: الإحاطة بمكانة الاحتشام والسلوك في المناب
الأصلية للقيم الإسلامية.

والثاني: التعرف على ما آلت إليه ممارسات ـ عد
الاحتشام في المجتمعات المعاصرة. لأن منه
البحث الذي يوجهنا القرآن لاستعمال
ونحن نحلل المواقف والأوضاع الاجتماعية هـ
أن ننظر أولاً في توصيات الله تعالى لنتبي
مدى استجابة هذه المواقف والأوضاع لهذ
التوجيهات، ثم ننظر بعد ذلك في نتائ
التطبيق وعواقب الممارسات الإنسانية لنتبي
الحال الذي آلت إليه السياسات والأوضا
المذكورة.

وهذا ما يوجه إليه قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[1]. أي سنريهم صدق آياتنا التي في الكتاب في آفاق الكون الطبيعي وفي عواقب الممارسات الاجتماعية والحضارية التي يمارسونها أنفسهم.

(١) سورة فصلت آية: ٥٣.

أما عن الأمر الأول وهو الوقوف على أهمية "الاحتشام والسلوك" في المنابع الأصلية للقيم الإسلامية، فإن تدبر ما جاء من آيات حول "ثقافة الاحتشام" وما يقابلها من "ثقافة السوء والعُري" يرينا أن أول فضيلة استهدفها الشيطان في أبوي البشر آدم وحواء عليهما السلام هي فضيلة الاحتشام، وأن أول مضاعفات نسيان آدم لتذكير الله في مطعوماته ومأكله كان العري وعدم الاحتشام.

استمرار جدلية الصراع بين "ثقافة الاحتشام"، و"ثقافة السوء والعُري":

والقرآن الكريم لا يعرض قصة آدم باعتبارها حادثة فردية تخص آدم وزوجه وإنما يستمر السياق القرآني ليذكر ذريتهما بأن حوادث القصة عدوان شيطاني وضعف إنساني سوف تتكرر وتنتشر آثارها السلبية طبقا لسنة إلهية صارمة. وقانون اجتماعي لا سبيل للانفلات منه، وهذا القانون هو:

"كلما غفل الناس عن "ثقافة الاحتشام" وشاعت بينهما "ثقافة السوء" وما ينتج عنها من تطبيقات سلبية تقوض الحضارات وتنتهي إلى تدمير المجتمعات".

والاحتشام الذي يذكر به القرآن هو احتشام فكري، واحتشام نفسي، واحتشام جسدي، واحتشام اجتماعي كما أن "ثقافة السوء" التي يحذر منها القرآن هي "سو فكري، وسوء نفسي، وسوء جسدي، وسوء اجتماعي لأن السلوك الذي ينبع من ثقافة الاحتشام يولد نتيجة التزاوج في الإنسان بين فكره المحتشم ونفسه المحتشمة، وشبكة علاقاته الاجتماعية المحتشمة، والسلوك الذي ينبع من "ثقافة السوء" يولد نتيجة السفاح الذي يعقد الشيطان في داخل الإنسان بين فكره الضال وإرادته المولعة بالشهوات المحرمة. قال تعالى:

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ * يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُه مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

---

(١) سورة الأعراف الآيات: ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧.

وتستمر الآيات التي تتلو مباشرة لتروي أنه حين يشيع عدم الاحتشام ويعتاد الناس على ثقافة السوء وتتنزل هذه الثقافة من جيل إلى جيل فإن المجتمعات الإنسانية تدرجها في عداد معتقداتها الدينية، وأخلاقها الاجتماعية، وممارساتها السياسية والإدارية وموروثاتها الثقافية والفنية والأدبية.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۞ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۞ فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

٦- السلوك المحتشم: معناه ومحتواه:

للوقوف على معنى السلوك المحتشم والتعرف على محتواه وكيفية توليده ومساراته لا بد من معرفة أمور هي:

---

(١) سورة الأعراف الآيات: ٢٨، ٢٩، ٣٠.

أ ـ معنى السلوك ومكوناته :

لعل أدق تعريف للسلوك أن نقول: السلوك هو محصلة التفاعل بين الفرد أو الجماعة الإنسانية وبين البيئة المحيطة في لحظة معينة. وهذا يعني أن السلوك مولود ينجبه زوجان هما: الإنسان والبيئة المحيطة حين يتفاعلان في لحظة معينة تكون هي مدة الحمل والإنجاب.

ويتقرر صلاح المولود الجديد ـ أي السلوك الجديد ـ أو سوءه، وصوابه أو خطاؤه طبقًا لدرجة التطابق Correspondonce بين تربية الإنسان الفرد وبين تزكية البيئة المحيطة، وتطابق الاثنين مع سنن الله في الكون والمنشأ الحياة والمصير غير أن التفاعل ـ وهو تزاوج ـ بين الإنسان والبيئة لا يكون الإنسان فيه دائمًا هو الذكر الفاعل ولا تكون البيئة دائمًا هي الأنثى المفعول بها، وإنما يتبادل الطرفان أيا من الدورين طبقًا لدرجة التأثير أو التأثر.

وفي مجتمعات الحضارة الحديثة المعاصرة تلجأ القيادات إلى احتكار صناعة البيئة المحيطة وملئها بالمؤسسات والممارسات والمنتجات التي تغري بالإنتاج

والاستهلاك تحت إسراف متبادل جعل من المبذرين فيها يبلغون درجة إخوان الشياطين، تاركه لدعاة الإصلاح وللمتدينين والأخلاقيين أن "يعظوا ويكتبوا ويتكلموا" بحرية كاملة ولكنها تمنعهم من أن يتحول "كلامهم" إلى أعمال ومنتجات ومؤسسات لا توجهها قيم دينية ولا معايير أخلاقية ولا سنن اجتماعية إلا القليل البسيط الذي يفيد في تلطيف البيئة الخانقة الفاسدة والمضاعفات المرضية والنفسية التي تغرزها مفاسد هذه البيئة وفضائها. وتبرر قيادات الإنتاج والاستهلاك سياساتها المشار إليها بعدد من المقولات مثل: "فصل الدين عن الدولة"، "رعاية العلمانية"، "تنشيط الثقافة والفن"، "رعاية التنمية"، "تشجيع السياحة".

والناس - في أي مجتمع - ينقسمون - في تفاعلهم مع البيئة المحيطة إلى ثلاثة أقسام:

قسم ينجح في صنع البيئة المشار إليها ورعايتها وحمايتها، ونشر نشاطاتها كافة.

وقسم ثان يعارض هذه البيئة ويعمل لاستبدالها، وكل من هذين القسمين لا تزيد نسبته العددية على ٢,٥٪ على المنحني المعياري في علم الإحصاء.

وقسم ثالث يتبع الناجح في التأثير عليه من القسمين السابقين، فإما أن يستجيب لإغراءات البيئة الجارية، ويتبنى "موديلاتها" و"مبتدعاتها" القائمة أو ينجذب لمقولات المعارضين ويرفع شعاراتهم الداعية للتغيير. وتصل نسبة هذا الفريق إلى حوالي ٩٥٪. ولعلهم هم الذين عناهم القرآن الكريم بأنهم قوم لا يعقلون، وأن الإنسان إذا أطاع أكثر من فى الأرض يضلونه.

والواقع أن النظر العميق في تاريخ مجتمعات الإنتاج والاستهلاك يكشف أنها منذ البداية احتكرت صناعة البيئة المحيطة ولونتها بملوثات النظام الاقتصادي الرأسمالي ـ أو اقتصاد السحت كما يقرر القرآن الكريم، في حين تركت للمعارضين حرية الكلام فقط ولم تسمح لهم بإقامة المؤسسات التي تترجم الأقوال إلى أعمال، فأدى عملها هذا إلى "عقم" المواعظ الدينية والفلسفات الأخلاقية والطروحات السياسية. وأكبر ما تتضح هذه السياسة في أمريكا الشمالية وأوربا، ففي القارتين المذكورتين جماعات كثيرة من التربويين وعلماء الاجتماع والنفس والسياسة والاقتصاد والإصلاحيين، وجميعهم مازال منذ القرن الماضي يندد بمضاعفات الفساد السياسي والتفاوت الاقتصادي وسياسات العدوان وما جرته على

العالم من كوارث وأن أمريكا سوف تلاقي سوء عملها إن لم توقف هذه الممارسات، ومع أن الأصوات بحت وماتت وورثتها أصوات مازالت تمارس نفس المهمة ولكن دون مجيب. ولعل أوضح مثل لذلك - رالف نادرر - ونشاطاته القائمة في حركة جماعة الخطر التى لم تفرز نتائج تذكر.

أما عن مكونات السلوك فإن لها وجودين: وجود علمي هو الآن حبيس الرفوف مازال ينتظر البحث والدرس، وجعله بعض مواد ثقافة الأمة. ووجود عملي اختصرت الاستعمالات اليومية في عصور الجهل في الحلقة الأخيرة من السلوك وهي حلقة الممارسات الظاهرية. غير أن النظر الدقيق في "آيات الكتاب" وفي "آيات الأنفس والآفاق" وفي المحتويات الأصلية للقواميس الأولى يقدم محتوى أشمل وأقرب لـ"مكونات السلوك". ويشير إلى أن البحث الدقيق يكشف عن أن السلوك يتكون من خمس حلقات هي: حلقة الخاطرة التي تولد من تزاوج الطبيعة الإنسانية مع مؤثرات البيئة المحيطة، ثم يتلقف العقل هذه الخاطرة لينجب منها في ضوء معقولاته العقدية والثقافية. الحلقة الثانية: حلقة الفكرة. ثم تتحرك الدوافع النفسية في ضوء منمياتها

العاطفية للتنجب من تزاوجها مع الفكرة. الحلقة الثالثة: حلقة الإرادة، ثم تقوم أدوات الصياغة اللغوية في ضوء مهاراتها لتصنع منها الحلقة الرابعة: حلقة التعبير، ثم تتحرك الأعضاء في ضوء مهاراتها الجسدية لتنجب الحلقة الخامسة: حلقة الممارسة العملية. والقرآن الكريم يجمع هذه الحلقات الخمس في قوله تعالى:

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾(١).

فالسر هو جزء السلوك الذي يتم داخل النفس الإنسانية ويشمل حلقات الخاطرة والفكرة والإرادة، والجهر هو الصياغة اللغوية لهذا السلوك والمشتملة على الحلقة الرابعة، والكسب هو الممارسة العملية أو الحلقة الخامسة التي تقوم بها أعضاء الإنسان الخارجية. ومن هذا التوضيح القرآني والتطبيق النبوي الكامل لمصطلح السلوك وتحديد مساراته الداخلية والخارجية تأول صلى عليه وسلم توجيهه القائل: "إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"(٢).

---

(١) سورة الأنعام آية: ٣.

(٢) رواه البخاري (الإيمان)، مسلم (المساقاة).

ومنه كذلك استلهم العلماء المسلمون تعاريفهم لمصطلح السلوك وتحديد ميادينه ومناهجهم في تهذيبه وتزكيته. من ذلك ما كتبه المحاسبي في كتاب ـ الرعاية لحقوق الله ـ، وما كتبه أبو حامد الغزالي في "إحيائه" وما كتبه الشيخ عبد القادر الكيلاني في كتابي: "الغنية" و"فتوح الغيب"، وما كتبه ابن تيمية في المجلد العاشر الذي يحمل عنوان ـ السلوك ـ من فتاواه الكبرى، وما كتبه ابن قيم الجوزية في ـ مدارج السالكين ـ وأمثالهم كثير.

ب. تنمية السلوك المحتشم:

وليكون السلوك محتشمًا تحتاج مؤسسات التنشئة والتربية والتوجيه والإرشاد والإدارة في المجتمع، التي تشكل محاضن حلقات السلوك الخمس وراعيها في حالتي العافية والضعف، أن تعي ـ كل الوعي ـ أمرين هامين:

الأول: الغذاء الذي تنمو من خلاله حلقات هذا السلوك وتشتد، أو تمرض وتضعف.

والثاني: تكامل هذه المؤسسات والتنسيق بين أعمالها لتوفير بيئات العافية.

أمـا عـن الأمـر الأول فـإن غـذاء الحلقـة الأولى مـ
السلوك ـ حلقة الخاطرة ـ هو ما يكثر الإنسان من سما
ورؤيته والحديث عنه في بيئته التي يعيش فيها ويتفاء
مع أحداثها ونشاطاتها الجارية. وغذاء الحلقة الثانية
حلقة الفكرة ـ هو ما يقرأه الإنسان من معارف وأفكـ
تتعلق بالمنشأ والحياة والكون والإنسان والمصير. وغـذ
الحلقة الثالثة ـ حلقة الإرادة ـ هو القيم التي توجـ
شبكة العلاقات الاجتماعية ابتداء من دائرة الأسـ
ومرورًا بدوائر القبيلة والقوم والأمة حتى الدائـ
الإنسانية. وغذاء الحلقة الرابعة ـ حلقة التعبير ـ هو ه
يتعلمه الإنسان ويطوره من مهارات في الكلام والاتصا
وغذاء الحلقة الخامسة والأخيرة ـ حلقة الممارسة ـ هو ه
يتناوله الجسد من غذاء وشراب وما يتدرب عليه مـ
مهارات الكسب والعمل. ثم تكون المحصلة النهائية هـ
ـ الثقافة العامة ـ التي تتفاعل هذه الحلقات في محاضـ
وتتغذى من مواردها.

وفي التربية الإسلامية يتم تقديم غذاء الحلقـا
الخامسة بأشكال تنسجم مع مقاصد هذه التربية في بقـ
النوع البشري ورقيه. فذكر الله ذكرًا كثيرًا والتسبـ
بحمده بكرة وأصيلاً والحض على سماع القرآن وتلاو

والحسن من القول، والنهي عن فحش القول وسماعه هدفها كلها تنمية - حلقة الخاطرة - الخيّرة إلى درجة "التقوى" التي يتقي صاحبها الاصطدام بسنن الله في الخلق والحوادث. وتدبر آيات القرآن والنظر أي البحث - في آيات الآفاق والأنفس - أو العلوم الطبيعية والاجتماعية - هدفهما تنمية ــ حلقة الفكرة - إلى درجة اليقين. وأداء الصلاة والصوم والحج هدفه تنمية - حلقة الإرادة - إلى درجة العزم. وعلوم اللغة العربية والأدب الملتزم هدفها تغذية - حلقة التعبير - إلى درجة البيان. وتغذية الجسد بالحلال دون الحرام وتدريبه على مهارات الكسب المشروع هدفهما تنمية - حلقة الممارسة - إلى درجة القدرة والتمكين. ثم تكون المحصلة النهائية - بروز ثقافة الاحتشام واستقامة السلوك.

أما في التربية الحديثة - التي تطورت في محاضن الحضارة الغربية الحديثة - فتركز على الفنون غير الملتزمة والموسيقى الراقصة والأدب النسائي المكشوف لتنمية - حلقة الخاطرة - المستمتعة إلى درجة السكر والهيام. وتجتهد في استيعاب الفلسفات المادية - الدنيوية لتغذي - حلقة الفكرة - إلى درجة الاغتراب الإنساني. وتوجه إلى إشاعة قيم الإنتاج والاستهلاك

لتنمية حلقة الإرادة ـ إلى درجة الإدمان. وتدرب عـا
لغة التكنولوجيا وعلوم المادة الجامدة لتغذية ـ حلقـ
التعبير ـ إلى درجة الإتقان. وتقدم الطعام والشراب إ
درجة التخمة والإسراف، وتدرب على مهارات العمـ
لتنمية ـ حلقة الممارسة ـ إلى درجة الاعتكاف في الأسوا
والمصانع والدوائر. ثم تكون المحصلة النهائية هي برو
ثقافة الإنتاج والاستهلاك التي تفرز التصوف المادي
ودراويش التسويق الذين لا يوجه سلوكهم احتشام و
يتقيدون بحلال أو حرام.

جـ- تكامل مؤسسات رعاية السلوك:

أما عن الأمر الثاني فلا بد للمؤسسات التي تغذ
حلقات السلوك الخمس وترعاها أن تتظافر للعمل علـ
تزكية هذه الحلقات وتزكية البيئة المحيطة بها، ولا بـ
لها أيضًا أن تتكامل في حمل مسئولياتها الدينـ
والتربوية والفنية والاجتماعية والإدارية والعسكر
والشرطية، لأن في تكاملها جميعًا بروز "ثقافـ
الاحتشام" و"السلوك المحتشم" وفي تناقضها ملء البيئا
بالملوثات الأخلاقية والضلالات العقدية، والظـلـ
الاجتماعي، والجور السياسي والاضطهاد العسكري ثـ
تكون محصلة ذلك كله بروز ثقافة غير محتشمة وسلوك

غير مستقيم وهو ما عانت منه المجتمعات الإسلامية في عصور الضعف والتخلف والجمود ـ ومازالت تعاني ـ.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يمكن تحقيق تكامل المؤسسات المذكورة وتجنب التناقض بينها؟

الجواب: لابد من تجديد مؤصل في مؤسسات التعليم ورجال التربية. تجديد يقوم على بلورة نظرية تربوية مستمدة من الأصول العقدية والتاريخية ومن التفاعلات المستقلة ـ المبصرة ـ مع معارف العصر وحاجاته وتحدياته المتجددة، ثم تحويل هذه النظرية إلى مؤسسات ومناهج تربوية جديدة تخرج إنسانًا جديدًا للعمل في المؤسسات المشار إليها. كذلك تحتاج هذه المؤسسات إلى توقف فوضى الاستيراد التربوي والابتعاث الدراسي اللذين تسببا ـ ومازالا يتسببان ـ بالتناقض الجاري في عمل المؤسسات القائمة وبمسح كل مؤسسة لآثار الأخرى. وأن يجرى التفاعل العلمي والتربوي من خلال مراكز البحث التربوي والثقافي التي يكون عملها تحليل وهضم ما يجري في قرية الكرة الأرضية من تطور وتجديد في ميادين التربية والعلوم الثقافية والتكنولوجيا ثم توزيعه ليغذي المؤسسات العاملة في ميادين التربية والفن

والاجتماع والإدارة والعسكرية والشرطة وسائر مؤسسات الحياة كلها منسجمًا مع الأصول الإسلامية، نقيًا من الملوثات الخارجية.

د ـ تزاوج المبدأ الأخلاقي مع الذوق الجمالي في السلوك المحتشم:

والسلوك المحتشم في القرآن الكريم هو السلوك الذي يتزاوج فيه المبدأ الأخلاقي مع الذوق الجمالي. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (١). وقوله: ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾ (٢). وقوله أيضًا: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ (٣). فالصفح والصبر والهجر صفات تجسد المبدأ الأخلاقي بينما تجسد صفة "الجميل" الذوق الجمالي. ويذكر ابن تيمية أن الصفح الجميل صفح بلا عتاب، والصبر الجميل صبر بلا شكوى، والهجر الجميل هجر بلا أذى(٤).

والحقيقة أن النظر في القرآن والسنة ومصادر الثقافة الإسلامية يكشف أن هناك علاقتين تحكمان شبكة

(١) سورة الحجر الآية: ٨٥.
(٢) سورة المعارج الآية: ٥.
(٣) سورة المزمر الآية: ١٠.
(٤) ابن تيمية، الفتاوي، علم لسلوك، المجلد العاشر، ص٤٠.

العلاقات الاجتماعية وهما: علاقة الذوق الجمالي وعلاقة المبدأ الأخلاقي. ويبدو أثر الذوق الجمالي بارزًا في علاقة الرجل والمرأة حيث تحاول أن تظهر بمظاهر الجمال، بينما يحاول الرجل أن يتخذ مظهر القوة ـ والقوة هنا نوع من الجمال ـ بالقدر الذي يؤدي إلى "إعجاب" كل منهما بالأخر. والفنون جميعها إنما تعبر عن هذه العلاقة خلال عصور التاريخ. ويسمي القرآن الكريم هذه العلاقة "المودة".

أما المبدأ الأخلاقي فغالبًا ما يزداد الاهتمام به خلال علاقة الرجل بالمرأة بالقدر الذي يؤدي إلى التقدير والاحترام. والأخلاق كلها إنما تعبر عن هذه العلاقة خلال عصور التاريخ. وتتكامل علاقة الذوق الجمالي مع المبدأ الأخلاقي لتوجيه "الثقافة" أي القيم والتقاليد والعادات والنظم ومختلف ممارسات الحياة. وبقدر توازن تكامل هاتين العلاقتين يكتسب المجتمع طابعه الخاص المميز وتتحدد درجة الرقي واتجاه الحضارة فيه. إلا أن المشكلة هنا تكمن في ترتيب موقع كل من الذوق الجمالي والمبدأ الأخلاقي في سُلَم القيم السائدة الذي يوجه شبكة العلاقات الاجتماعية في المجتمع، ودرجة التفاعل بينهما وعدم طغيان أحدهما على الآخر.

ففي الحضارة الأوربية وامتداداتها في أمريكا والمجتمعات التي تتبنى نظام القيم الغربية يتخذ الذوق الجمالي موقعًا أعلى من المبدأ الأخلاقي وينتشر في مساحات واسعة من الحياة الجارية، ويطغى عليه في التوجيه والتشكيل وفي كافة الفنون والتصوير واللباس وغير ذلك. لذلك مارس المجتمع الغربي التصوير ـ خاصة تصوير المرأة العارية وتطورت الملابس لتبرز جمال المرأة في الشارع والأماكن العامة والمؤسسات المختلفة، وتشكلت العادات والتقاليد لتعرض جمال المرأة في كل موقع ومناسبة. كذلك امتدت هذه الظاهرة لتعرض قوة الرجل ـ وهي هنا نوع من الجمال كما ذكرت سابقًا ـ بنفس الأسلوب الطاغي فبرزت فنون المصارعة والملاكمة وأمثالها ومورست كل هذه الفنون في كل موقع ومناسبة دون حواجز بين الجنسين، ونال "الغالب" فيها التقدير والجوائز، وطال التحقير والتبكيت فيها "المغلوب".

هذا بالإضافة إلى تطور بناء المساكن وتخطيط المدن التي لم يراعَ فيها الاحتشام وستر الحرمات، وتطور الأدب والقصة والمسرحية والتمثيل والغناء والنحت وغيره في ظل توجيه هذا "الذوق الجمالي" الطاغي على "المبدأ الأخلاقي"، بل أن ظاهرة الاستعمار الغربي ـ الأمريكي

سببها الرئيسي طغيان الذوق الجمالي على المبدأ الأخلاقي في علاقة الإنسان الغربي بالإنسان عامة. وكل ثقافة سيطرة وطغيان هي في أساسها ثقافة تنمو فيها القيم الجمالية على حساب القيم الأخلاقية. وحين تطغى القيم الجمالية على القيم الأخلاقية تنتهي بالحضارة التي تسترشد بتوجيه هذا النوع من القيم والثقافة إلى فضائح في السلوك وفحش في العلاقات.

أما في الأصول الإسلامية المتمثلة في القرآن والسنة اللذين يمثلان الوعي الكامل للإنسان والكون والحياة والآخرة. فإن كلاً من الذوق الجمالي والمبدأ الأخلاقي يتخذ موقعه حسب سنن الخلق وقوانين إيجاده ومسيرته ثم يتكامل الاثنان دون أن يطغى أحدهما على الآخر ولتكون ثمرة هذا التكامل إفراز ثقافة "العفة والاحتشام"، وهي ثقافة تدور حول "تكريم" الإنسان واحترام مكانته بين العوالم المشهودة والمغيبة التي تشاركه الوجود. ولذلك تتكرر في القرآن صفة "كريم" لجميع محددات السلوك البشري وشبكة العلاقات الاجتماعية. فيوصف القرآن نفسه بأنه "قرآن كريم"، والرزق المسترشد بالتوجيه القرآني بأنه "رزق كريم"-وهكذا.. .

ولقد أدى اقتران الذوق الجمالي بالمبدأ الأخلاقي في لأصول الإسلامية إلى أنه لم يبرز في الحضارة الإسلامية نصوير كالذي نشاهده في متاحف الحضارة الغربية ومعارضها ومطبوعاتها وصحافتها لأن الرادع الأخلاقي في المجتمعات الإسلامية لا يطلق العنان للفنان ليعبر عن كل ألوان الجمال ـ وعلى الخصوص المرأة العارية ـ . ولذلك أيضًا لم تظهر ظاهرة الاستعمار التي تقوم على لإعجاب بالقوة الطاغية المفضية إلى استضعاف الآخرين واستعبادهم وسلب مقداراتهم. هذا بالإضافة إلى أن لملابس في المجتمع الإسلامي اتخذت اتجاهًا مخالفًا لاتجاه الغربي تمام الاختلاف فسترت جمال المرأة في لشارع وأبرزته في البيت وحجبته عن الغرباء وغير لمحارم من الأقرباء. كذلك برز أثره في فنون العمارة لإسلامية وتخطيط المدن ونظم الإدارة والصناعة والزخرفة المدارس العسكرية ونظم التربية والتعليم وغير ذلك من يادين المعرفة والحياة الجارية.

كذلك أدى توازن الذوق الجمالي والمبدأ الأخلاقي ى بروز أساليب الحكمة والموعظة الحسنة والجدال لبناء الهادف إلى تبيان الحق، ولم ينتج التمثيل والغناء المسرحية وسينما العري والفحشاء، وكذلك البناء وغيره ن الفنون المختلفة.

ولا اعتبار هنا للموضات الثقافية وموديلات اللباس والبناء والأدب التي تقتبسها المجتمعات الحديثة في العالم الإسلامي طبقا للنمط الغربي، فهي كلها صادرة عن اغتراب ثقافي وتيه حضاري.

ومن الموضوعية أن نقول إنه حين برز في الحضارة الإسلامية فقه ديني وثقافي غير صائب، وطغى المبدأ الأخلاقي على الذوق الجمالي فدحره وانفرد دونه بالتوجيه، برزت ثقافة ذات تقاليد صارمة متشددة في السلوك، جامدة في الفكر، غليظة في الذوق، وآلت حضارة المجتمعات الإسلامية إلى التحجر والجمود، وانتهت التقاليد والقيم والعادات إلى تيه في تراث العصبيات القبلية والإقليمية والمذهبية والطائفية، وانسلخ الجمال عن الممارسات والعلاقات الاجتماعية الجارية في الشارع والبيت والسوق والدائرة والمؤسسات والمنتزهات وأماكن العبادة والعمل ودور العلم ووسائل المواصلات والاتصال ووسعتها كلها "بقبح" الفوضى وعدم النظافة والغلظة والفظاظة والاضطراب.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما السبب الرئيسي في اتجاه المجتمعات الغربية لهذين الاتجاهين المختلفين؟

الجواب: إنه لا بد من النظر في الأصول التاريخية والمناسبة الأولى التي تطور عنها كلا النوعين من المجتمعات، فالمجتمعات الغربية ورثت ـ ذوق الجمال ـ وأنزلته المقام الأسمى في سلَّم قيمها في التراث اليوناني والروماني الذي قاده فلاسفة وفنانون. وتلون بثقافات منابت النشأة الأولى من قبائل البرابرة من أمثال الفايكينج، وهو تراث جعل الذوق الجمالي يطغى على المبدأ الأخلاقي ويطمسه. وحين وفدت ثقافة التوراة والإنجيل من الخارج أعاد الغرب تشكيل محتوياتها وطور "التقاليد" التي أفرزتها لتتفق مع الأصول اليونانية والرومانية.

وحين قامت النهضة الأروبية الحديثة استوحت ثقافتها من الأصول المذكورة وتفاعلت مع غيرها في الخارج طبقًا لقيم هذه الأصول.

أما الثقافة الإسلامية فقد ورثت المبدأ الأخلاقي من الشغف بالحقيقة. الذي قاده في داخل حدودها أنبياء ورسل من إبراهيم عليه السلام حتى محمد ﷺ ولكن رغم الحفاظ على الأصول الإسلامية فإن المجتمعات القائمة في منطقة الحضارة الإسلامية كثيرًا ما تفقه هذه الأصول فقهًا ملونًا

بثقافات العصبيات القبلية والإقليمية والطبقية والطائفية التي تستمدها من التراث المنحدر من بيئات منابت النشأة الأولى كبيئة الصحاري العربية وأمثالها في آسيا، وأفريقيا فتنحرف بها إلى الصرامة والغلظة والفظاظة والجمود.

والواقع أن الأزمة التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية في الوقت الحاضر هي الفصام بين مؤسسات المبدأ الأخلاقي المتمثلة في دور العبادة ومعاهد التعليم والمساجد والمطبوعات والمنشورات الدينية والأخلاقية وبين مؤسسات الذوق الجمالي المتمثلة في معاهد الفنون والتمثيل السينمائي والآداب والنحت وغيرها حيث تكتفي الأولى بالتركيز على المبدأ الأخلاقي وتغفل عن الذوق الجمالي، وعن هذه الغفلة تنتج صور التعصب والتزمت ومضاعفاتها السلبية، وتكتفي الثانية بالتركيز على الذوق الجمالي وتطبيقاته الفنية وتنسى مزاوجته مع المبدأ الأخلاقي، وعن هذا النسيان تنتج صور الانفلات والانحلال وثقافة عدم الاحتشام.

والحقيقة أنه لا مفر من تكامل مؤسسات المبدأ الأخلاقي مع مؤسسات الذوق الجمالي إذا أردنا شيوع

سلوك الاحتشام في الفكر والعاطفة والممارسة. والسبب أن السلوك هو محصلة التفاعل بين الفرد والبيئة المحيطة في لحظة معينة. وهذا أمر يوجب على القائمين على ثقافة السلوك والاحتشام مراعاة أمور ثلاثة هي: الفرد، البيئة، اللحظة الزمنية التي يحدث فيها التفاعل بين الفرد والبيئة المحيطة. وهذا يعني خطأ المقولة التي تقول: إذا صلح الفرد صلح المجتمع، وإنما لا بد من صلاح الفرد وصلاح شبكة العلاقات القائمة في البيئة المحيطة ومؤسساتها، ومن تزاوج الاثنين يولد السلوك الصالح والثقافة الصالحة والحضارة الصالحة، أو نقول لا بد من احتشام الفرد واحتشام البيئة ومن تزاوج الاثنين يولد السلوك المحتشم والحضارة المحتشمة والثقافة المحتشمة. ثم بروز الفرد المحتشم، والأسرة المحتشمة، والمدرسة المحتشمة، والجامعة المحتشمة، والإعلام المحتشم، والصحافة المحتشمة، والشرطة المحتشمة، والشارع المحتشم، والبناء المحتشم،والسوق المحتشم، والمتنزه المحتشم، والمسارح المحتشمة، والعلاقات المحتشمة، وهكذا في كل عنصر من عناصر الحياة الجارية ويكون الاحتشام دستورًا يشحذ الهمم، ويوحد الأهداف وينسق الجهود والنشاطات.

٧ـ آثار ثقافة "السوء والعري" في الحضارات والمجتمعات:

والحقيقة أن تاريخ الإنسان وحاضره على الأرض يبرهنان صحة هذا التوجيه وصدقه. ففي فترة ما نصبت المجتمعات البشرية أصنامًا لما أسمته ـ آلهة الجمال ـ ونحتت لهذه الآلهة تماثيل عارية لنساء جميلات، وفي فترة أخرى صنعت مجتمعات أخرى من "سوأة الإنسان" تماثيل مقدسة، واليوم تعرض أجساد الفتيات عارية وتقام لها مسابقات الجمال. ومنذ سنوات بثت إحدى محطات التلفزة الأمريكية صورة وخبرًا رأيته بنفسي لمذهب كنائسي جديد يدعو أتباعه للصلاة وهم عراة تحت شعار أن الإنسان ولد عاريا وعليه أن يعبد الله عاريًا كما ولد. كذلك أثبت تاريخ الإنسانية أنه حين تغيب هذه المعبودات والضلالات غير المحتشمة فإن بيئة الاحتشام تشيع وأنبل مشاعر الحب والمودة تولد، ويشيع الزواج النظيف، والأدب الرفيع، والفن الرفيع والأذواق الرفيعة والسياسات الرفيعة، والإدارات الرفيعة، والعلاقات الإنسانية الرفيعة. أما حين يشيع ـ العري ـ وينتفي الاحتشام فإن السوء والفاحشة يوجهان سلوك الإنسان ويسقط الرجل والمرأة ضحية الشهوات الهابطة المؤدية إلى الشذوذ والانحراف المفضيان إلى

امتهان إنسانية الإنسان وانتشار تجارة الرقيق الأبيض. والأدب الرخيص، والفن الرخيص والسياسات والإدارات غير المحتشمة والعلاقات الإنسانية الهابطة.

وتمضي الآيات القرآنية لتفصل تفصيلاً دقيقًا عن تطبيقات "ثقافة السوء وعدم الاحتشام" وما جلبته على المجتمعات التي مارستها في حياتها السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية والفنية. وتورد القصص لهذه التطبيقات الخاطئة من أمثال قوم لوط وقوم عاد وقوم شعيب وبني إسرائيل وغيرهم. وكيف انتهت بهم "ثقافات عدم الاحتشام" بأن حقت عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم بما كانوا يفسقون. ولقد أوجز ﷺ الآثار السيئة لثقافة السوء وعدم الاحتشام عند قوله: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فاصنع ما شئت"[١].

كذلك تتكرر الدعوة في القرآن الكريم للسير في الأرض والتنقيب في آثار الحضارات والمجتمعات التي مضت لنتبين عاقبة الذين ظلموا أنفسهم، وكيف أن

---

(١) البخاري (كتاب الأنبياء ـ كتاب الأدب)، ابن ماجه (الزهد)، سنن أبي داوود (الأدب).

"ثقافات عدم الاحتشام" انتهت بهم إلى مصارعهم التي لم يحل دونها أنهم كانوا أشد قوة وأنهم عمروا الأرض أكثر مما عمرناها فما أغنت حضارتهم ولا منعت المصير الذي انتهوا إليه.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما العلة التي تجعل العري يجلب كل هذه الآثار السلبية في حياة الأفراد والجماعات؟

الجواب: إن العري سجن يسجن الإنسان داخل شهواته الحسية السفلى، ويحال بينه وبين الارتقاء في سلم الحاجات الإنسانية الموصلة إلى قمة هذه الحاجات التي يسميها ـ إبراهام ماسلو Peak-Experie ـ وهي درجة تتحقق فيها ذات الإنسان، ويكتشف أصالته وإيجابيته. ثم يكون من آثار هذا السجن أن يصبح الإنسان عبد الأشياء ويرتد إلى ـ الصنمية وعبادة الأصنام، وتعدد الألهة، وسفه الذات أي انتقاصها وهلاكها.

٨ـ ثقافة العري "سمة" المجتمعات الظالمة وأنظمة الطغيان:

ثقافة العري والسياسات الظالمة توأمان متلازمان. فأينما انتشرت سياسات الظلم صاحبتها ـ ثقافة العري

وعدم الاحتشام ـ ومن هنا ندرك مغزى قوله ﷺ:

"صنفان من أهل النار لم أرهما: رجال يضربون الناس بسياط كأذناب البقر، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، على رؤوسن كأسنمة البخت، لا يدخلن الجنة ولا يشممن رائحتها، وإن رائحتها على بعد كذا وكذا" والأسنمة جمع سنام وهو الارتفاع البارز في ظهر الجمل، والبخت نوع من الجمال أسنمتها كثيفة الشعر.

والسؤال الذي نطرحه: ما الحكمة التي جعلت الرسول ﷺ يذكر الرجال الذين يضربون الناس بالسياط إلى جانب النساء الكاسيات العاريات اللاتي يكشفن رؤوسهن، ويمشطن شعورهن بتسريحات تبدو كأسنمة البخت؟ ولماذا لم يذكر إلى جانب الضاربين بالسياط رجال يغشون الناس، أو يعتدون عليهم، أو يخونون أماناتهم؟.

الجواب: هو أن كلا من الفريقين المشار إليهما في الحديث النبوي الشريف أداة من أدوات الأنظمة الظالمة والدكتاتوريات التي تتسلط على المجتمعات وتنتهي بها إلى الخراب والسقوط. فالمجتمعات التي تقع فريسة للظلم ينقسم الناس فيها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أقلية طاغية مرنة تستولي على الموارد والمقدرات وتصادر الحريات وتتصرف بكل شيء دون قيد من حلال وحرام.

والقسم الثاني: أقلية واعية تعي خطورة الظلم وتنكر سياساته وتدعو لمعارضته، وتستعصي على إغراءات الظالمين الذين يعمدون إلى اعتقال المعارضين وتسليمهم إلى القساة من الشرطة والعساكر ليسجنوهم بالزنازن، ويجلدوهم بالسياط التي تشبه ـ فعلاً ـ أذناب البقر.

والقسم الثالث: أكثرية غافلة عما ينزل بها من مظالم، لاهية بشهواتها، تتبع كل ناعق، وترقص لكل عازف، وتستجيب لأية فتنة. هذه الأكثرية تعمد الأنظمة الظالمة إلى سجنها في سجن حاجاتها المادية ـ الشهوانية ولذلك تعمد إلى إغراقها بـ"ثقافة العري" التي تجند النساء الكاسيات العاريات المائلات للطيش والهوى، المميلات للشباب بالتبرج والإثارة. وللشابات بالأسوة السيئة تحت أسماء براقة مثل: نجمة

الشاشة، راقصة البالية، عارضة الأزياء، ملكة الجمال، صحافة المرأة، مهرجانات الرقص الشعبي، فرق الدبكة إلى ما هناك من عناوين ظاهرها الشهرة والرفعة والغنى وباطنها الفساد والانحطاط وتجارة الرقيق الأبيض، وتشيع أجواء الفاحشة تحت يافطات جذابة مثل: حقوق المرأة، التحرر، التقدمية، بينما يكون الهدف الحقيقي هو إلهاء الأكثرية عن المظالم التي ترزح تحتها، والتحديات والأخطار التي تحيق بها، ومنعها من التطلع إلى تحقيق إنسانيتها واسترداد كرامتها.

٩ـ عدم الاحتشام في المجتمعات المعاصرة وأزماته:

وأما عن الأمر الثاني وهو الوقوف على ما آلت إليه ممارسة عدم الاحتشام في المجتمعات المعاصرة فإن أبرز ما يميز البنية السكانية للمجتمعات المعاصرة هو انهيار الحدود بين الثقافات، وتسارع وسائل الاتصال والمواصلات، ودخول البشرية في طور جديد تتصف الحياة فيه بالإقامة الموقوتة، والجوار الموقوت، وانقلب

التجانس الثقافي والاجتماعي في المدينة الواحدة والبناية الواحدة إلى "خليط" مضطرب من الثقافات والأعراف والتقاليد والقيم، ووجد الإنسان المعاصر نفسه بين أكداس بشرية عارية من الهوية والانتماء والروابط إلا ما كان من روابط المصالح المتذبذبة الموقوتة والشهوات الملتهبة. الأمر الذي أحال المدينة الحديثة ـ كما يقول عالم البيئة رينه دوبوا ـ إلى حديقة حيوانات بشرية أقفاصها الشقق السكنية.

لقد أفرزت هذه التغيرات المضطربة في غالب مجتمعات العالم أزمات ثلاث:

الأولى: اغتراب الإنسان عن ذاته.

الثانية: انحسار مفهوم الثقافة في ما يعرف باسم ثقافة الإنتاج والاستهلاك.

الثالثة: اتصاف السلوك الفردي والجماعي بالشذوذ وردود الفعل التلقائية[1].

أما عن الأزمة الأولى فإن الفلسفات والعلوم النفسية

---

(1) Alvin Toffler, Future Shock, (New York, Bantam Co. 1981.

والتربوية التي قامت عليها الحضارة الحديثة تنكرت ـ لهوية الإنسان ـ التي فطره الله عليها والتي تقرر أن الإنسان خيِّر بالفطرة وأنه قابل للتسامي حتى منزلة أحسن تقويم، وقابل للهبوط حتى الارتكاس في عالم الحيوان أو درك أسفل سافلين. وفي المقابل طرحت هذه الفلسفات. هوية بديلة ـ خلاصتها أن الصراع من أجل البقاء هو الغاية الكبرى للحياة، وأن الإنسان هو ثمرة نجاح الحيوانات الأقوى في هذا الصراع الدائر بين سلسلة الحيوانات التي تصارعت وتطورت كما تقول الداروينية الاجتماعية Social Darwinism، وعلى أن الإنسان مجموعة من الشهوات والرغبات كما تقول ـ الفرويدية Fruedism ـ.

لقد كانت النتيجة التربوية لهذه الفلسفات أنها أفرزت نظريات بررت عمليات الاحتكار والجريمة والاستغلال بين الأفراد والطبقات داخل المجتمعات وعمليات الغزو والنهب والاستعمار والحروب التي شنتها ـ ومازالت تشنها ـ المجتمعات الغربية ضد المجتمعات الأخرى، كذلك أفرزت نظريات سياسية ونظم اجتماعية وتربوية بررت جميع أشكال الانحلال والفاحشة وأقامت لها المؤسسات والمباريات والنشاطات، وعملت على

إشاعتها في المجتمعات الأخرى تحت شعارات وعناوين من أمثال: مجتمع الرفاهية، حرية الإنسان، وحقوق المرأة، وحقوق الطفل[1].

وأما عن الأزمة الثانية: وهي انحسار مفهوم الثقافة في ما يعرف باسم ـ ثقافة الإنتاج والاستهلاك ـ فقد كانت نتيجة طبيعية للأزمة الأولى، حيث انحسر مفهوم الثقافة في الإنتاج المادي، واستهلاك المنتجات. واعتبر التقدم الإنساني هو زيادة نمو هذا الإنتاج والاستهلاك، وهو ما يطلق عليه شعار التنمية. كان لانتشار هذه الثقافة مضاعفات سلبية في البيئات الاجتماعية والثقافية والفنية والطبيعية والسياسية. حيث ضرب التلوث هذه البيئات كلها، الأمر الذي جعل عالمًا شهيرًا من مؤسسي علم البيئة هو رينيه دوبوا يركز جهوده في كتبه المختلفة على التحذير من انحسار مفهوم الثقافة في حاجات الإنسان الجسدية وإهمال حاجاته النفسية والعقلية. ومن أقواله في هذا المجال: "في كل مكان لا نستعمل الأرض مأوى وحاضنة للثقافة الإنسانية وإنما كمصدر للاستغلال وسوقًا للبيع والشراء.. إن جميع المجتمعات التي تتأثر

(1) Hoftader, Richard, Social Darwinism (Boston: 1955).

بحضارة الغرب تلتزم في الوقت الحاضر ـ توراة التنمية ـ وتترنح في دائرة تشبه ـ حلقات الدراويش ـ ونشيد هذه الدائرة:

انتجوا أكثر
لكي تستهلكوا أكثر!
ثم لكي تستهلكوا أكثر!

والإنسان لا يحتاج أن يكون عالم اجتماع لكي يدرك أن هذه فلسفة مختلة مجنونة[1].

وأما عن الأزمة الثالث فهي أيضًا بعض إفرازات قيام العلاقات الإنسانية على فرضية الصراع وحصر إبداعات الإنسان في الإنتاج والاستهلاك فقد صار الإنسان المعاصر في المدينة الحديثة التي تقيم في وسطها بنوك الاحتكارات وأسواق الصراعات المالية بدل المساجد والمؤسسات الثقافية، ويتكدس فيها ملايين البشر الذين يدمرون الصراع والتنافس فى هذه المؤسسات بدل المؤمنين الذين يوثقون الروابط ويرتقون بالعلاقات، يعاني مما يسميه علماء الاجتماع وعلماء النفس الإحساس بالوحدة والعزلة النفسية ـ Loneliness والإحساس بالإحباط

(1) Rene Dabos, So Human An Animal, PP. 139-140.

وخيبة الأمل Frustration، والإحساس بالعجز Powerlessness، والمعاناة من عدم الانسجام، ومن مظاهر الشذوذ في الحياة والسلوك[1] Normlessness.

وكانت المحصلة النهائية لهذه الأزمات الثلاث هي "عُري" إنسان العصر عريًا أبدى له سوأته في التصورات الفكرية والإرادات النفسية والممارسات الجسدية، وسوء استعمال التكنولوجيا المتقدمة التي أفرزها العلم الحديث[2].وهذه ظواهر جعلت عشرات المفكرين ـ منذ أواخر القرن العشرين حتى السنوات الأولى من القرن الحالي ـ يطلقون صيحات الإنذار بالخطر القادم الذي يحمل في طياته انتقاص إنسانية الإنسان وانعدام الأمن وشيوع الفوضى في العلاقات الإنسانية، من ذلك ما كتبه أبراهام ماسلو، ورينه دوبوا، وثيودور روزاك، ودانيال بل. وفرتز شوماخر. وبولو فرير، ونعوم تشومسكي، وديفيد بربل، وستيفن كوفي، وغيرهم. غير أن أصوات هؤلاء العلماء والمفكرين لا تلبث أن تتبخر وسط الضجيج الإعلامي والفني والثقافي الذي تديره

(١) ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، ص٢٢٤.

(2) Abraham Maslow, Education in A Dynamic Society, 1972, PP. 60-64.

رأسمالية العولمة وتسخره لمزيد من إشاعة - ثقافة الإنتاج والاستهلاك - خاصة بعد انفرادها بالهيمنة العالمية وتبنيها سياسات نفعية لا تلتزم بشريعة ربانية ولا قيم أخلاقية ولا معايير إنسانية.

الخلاصة:

مما مر يتبين بوضوح أهمية الدور المقترح للفتاة المسلمة المعاصرة في مواجهة الهجمة الكاسحة التي تشنها العولمة الحاضرة لتحويل المرأة في العالم كله إلى سلعة تسويقية وترفيهية في مراكز التجارة الدولية وأسواق الإنتاج والاستهلاك.

والأمل كبير أن تكون بشائر هذه الطليعة النسوية المحتشمة ـ عقليًا ونفسيًا وجسديًا ـ قد بدت طلائعها في النشاطات المباركة التي تديرها فتيات الاحتشام ورائدات الفضيلة في العالم الإسلامي وفي الجاليات المسلمة المغتربة خارج العالم الإسلامي.

وليس من أهداف هذه الرسالة المفتوحة أن تطرح برنامج عمل دعوي محدد لمواجهة "ثقافة السوء والعري" التي تشيعها مؤسسات العولمة فذلك أمر يجب أن تقوم به "حكيمات العمل الإسلامي" في كل قطر حسب ظروف الزمان والمكان.

ومع ذلك فلا مانع من اقتراح بعض المنطلقات التي تسهم في تزويد التخطيط الحكيم بالمعلومات الضرورية. ويمكن تلخيص هذه المنطلقات في ثلاثة منطلقات هي:

المنطلق الأول: يحتاج العاملون والعاملات في ميدان الدعوة الإسلامية إلى بلورة النموذج النظري للمرأة (القوية - الفاضلة) الذي هي سمة المرأة المسلمة ثم ترجمة هذا النموذج إلى واقع عملي تعيشه الفتاة المسلمة المعاصرة وتقدم القدوة الحسنة للمرأة في العالم كله. ولا بد من التميز بين النموذج المنشود وبين كل من نموذج المرأة (القوية - غير الفاضلة)، ونموذج (الفاضلة - الضعيفة) لأن التداخل بين النماذج الثلاثة قائم في إفهام الكثير من العاملين والعاملات للإسلام، وهم يحددون مواقفهم وعلاقاتهم السرية طبقًا لهذا الفهم الخاطئ. ونحن نشاهد هذا التداخل بين النماذج الثلاثة في حرص بعض الأزواج المسلمين على اختصار شخصية المرأة المسلمة وسلوكها المثالي في جلباب أسود وكفوف سوداء وخمار أسود وجوارب سوداء، مع طاعة عمياء تنتهي بالمرأة إلى نموذج (الفاضلة - الضعيفة).

كذلك نشاهد هذا التداخل بين النماذج الثلاثة في سلوك بعض المسلمات اللاتي يضخمن صفة (القوة) ويغفلن عن صفة (الفضل)، وينطلقن بناء على ذلك من منطلق (المطالبة بالحقوق) وينسين (القيام بالمسئولية). والمبدأ الأول صناعة غربية تبدأ بالمطالبة بالأخذ ثم تتطور

إلى الجشع والشح وتنتهي إلى الصراع المدمر لعلاقة الزوجين، بينما المبدأ الثاني رسالة إسلامية تترجم عمليًا بتبادل العطاء ثم تتطور إلى المودة والرحمة وتنتهي إلى تماسك الأسرة وقداسة روابط الزوجين وتكامل جهودهما.

ولقد شاهدنا ـ في عصر العولمة ـ نماذج لمسلمات ركزن على صفة القوة وغفلن عن صفة الفضل فانتهى بهن الأمر إلى ـ استرجال ـ قبيح يجافي الذوق ويشيع الفكر في العلاقات الزوجية حتى ينتهي إلى الطلاق ويبعث على التساؤل عن اسباب هذا السقوط من نساء مسلمات عاملات في ميدان الدعوة ويحملن الشهادات العالمية في أدق الاختصاصات العلمية.

المنطلق الثاني: تتحمل الفتاة المسلمة المعاصرة مسئولية كبري في مجابهة مؤسسات التربية الحديثة بإشراف إدارات العولمة المعاصرة. وهذا يعني مشاركة المرأة المسلمة في تجديد النظم التربوية والتعليم الذي يجب أن يتصدر قائمة العمل الإسلامي وعدم الركون إلى مؤسسات التعليم الرسمي التي تستجيب بشكل سريع لتوجيهات خبراء العولمة الرأسمالية في إعداد قوافل العمال المدجنين التي تحتاجها ـ أسواق الرأسمالية

ومصانعها ـ ولعله من المناسب الانتفاع بالتجربة الأمريكية القائمة التي تديرها أحياء المدن الأمريكية في الوقت الحاضر والتي بلغت نسبة المشاركين فيها حوالي ٤٥٪ من الأسر الأمريكية المعروفة باسم ـ المدارس العامة ـ أو Public Schools، وبحيث صارت المدارس الحكومية أماكن تدريب للطلبة على ثلاثة أمور هي: الجريمة والجنس وتعاطي المخدرات ـ فلجأت هذه الأسر إلى ما يعرف الآن باسم ـ التربية البيتية ـ أو Home Schooling أو Home Education. ولقد أقامت هذه الحركة إداراتها وبرامجها وأساليبها في التربية والتعليم الذي نهضت به ـ الأمهات ـ في كل حي من أحياء المدن الأمريكية.

المنطلق الثالث: تدريب ربات البيوت والفتيات المسلمات عامة على تجديد موارد المعيشة التي جرى هدمها بإشراف وكلاء الرأسمالية المحليين تمهيدًا لاستيراد المنتجات الرأسمالية وانفرادها في الهيمنة التجارية، وتحويل النساء إلى عاملات في أسواقها.

وأهمية هذا المنطلق تزداد يومًا بعد يوم بسبب الأزمات التي تفرزها البطالة المنتشرة في دنيا العمل،

وبسبب الأخطار التي تحملها غيوم ـ مفهوم العمل ـ الذي يدعو إليه أنصار العولمة ويقوم بتنفيذه وكلاؤها المحليين، فهي أخطار مرعبة تنذر باسترقاق الفتاة المسلمة وإدراجها في أسواق الرقيق الأبيض المنتشرة ـ الآن ـ في عالم العولمة المعاصر. وهذه تيارات بدت تطبيقاتها في ـ المدن الصناعية ـ التي يقيمها وكلاء العولمة الرأسمالية والبنك الدولي في العالم الثالث ـ ومنه الأقطار العربية ويحشدون فيها آلاف الفتيان والفتيات مقابل أجر زهيد لا يتعدى المائة (١٠٠) دولار في الشهر الواحد، وهذا راتب لا يساوي ثمن حذاء أو فستان تشتريه الفتاة العاملة من أسواق العولمة المعاصرة.

إن البديل لهذا التدمير الاقتصادي المفضي إلى استرقاق المرأة وتدمير إنسانيتها أن تعود الفتاة المسلمة إلى إحياء الاقتصاد الأسري القائم على استثمار الموارد المحلية استثمارًا أسريًا مثل ما كانت أمهاتنا وجداتنا يذهبن مع أسرهن إلى الأرض ليزرعوا ويحصدوا ثم يعدن إلى البيت ليربين عشرات الدجاجات والأرانب والبط والوز وبعض رؤوس الغنم أو الماعز أو البقر أو الجواميس ثم تكون محصلة الإنتاج مؤونة العام كله من الحبوب والخضروات واللبن والجبن والزبد والبيض، ويكون من

ثمار ذلك تحرر الإنسان من عقدة الخوف على الراتب الشهري الورقي ومن ذل الحاجة، المفضي إلى السلبية والعزلة عن الأحداث السياسية الجارية من حوله والرامية إلى تدميره واستعباده. والعودة إلى الاقتصاد الأسري لا تعني أن نعود إلى الأساليب التقليدية في الحرث وتربية الماشية ـ وإن كانت الضرورة قد تجبرنا إلى البدء بها ـ وإنما الانتفاع بالخبرات التقنية والعلمية القائمة في البلاد الأخرى مثل هولندا التي يحصل فيها أعضاء الأسرة على الشهادات الثانوية والجامعية في الرعي، وذبح الماشية، وصناعة الألبان والأغذية ثم تتحول البيوت إلى مصانع تصدر أجبانها وألبانها ولحومها إلى العالم كله، ومثله الأقطار الأسيوية التى ابتكرت ما عرف باسم ـ رأسمالية العائلة ـ Family Copitalism ـ التى أغاظت بنجاحاتها مؤسسات العولمة وشركاتها وبنوكها فراحت تتآمر عليها.

واعتقادي أن طبيعة التحديات القائمة والمستقبلية تجعل ـ التعليم البيتي المقترح والاقتصاد الأسري المشار إليه ـ يحتلان مركز الصدارة في أي عمل إصلاحي يستهدف حماية ثقافة الأمة المسلمة وقيمها وأخلاقها وأعراض نسائها واستقرار الأسرة وأمنها وصيانة الشرف

المستهدف، كما يوفر بيئة الاحتشام ويحمي الفتاة من مضايقات رؤساء العمل وتحرشات الزملاء، ومغريات الفتنة المفضية إلى السقوط والهلاك.

رائدة الفضيلة

د. ماجد عرسان الكيلاني

ألفيتها عند الضحى تمشي بحي الأشرفية[1]
أخفت جميع مفاتن الأنثى سوى لُمَع وضيّة
تنساب من وَقد الجلال وهيبة الخلق السنية
أختاه يا أختاه يا رمز الكرامات العليّة
من أنت يا أختاه بين مسارب العصر الغوية
هل أنت أم المؤمنين وموئل الدين التقية
أم أنت رابعة تعبّ الروح صافية نقية

* * * * * * * *

قسمًا وهالات البهاء تحوم حولك يا وليّة
ما هام في عينيك مثلي عاشقٌ بين البريَة
لكن وربي من وكور الرجس ما ثارت شهيّة
غير العفاف وحبّي القدسي للأخت الرضيّة
قطرّته كالوحي من فيض السماوات العليّة

* * * * * * * *

هلا رأيت فتاتنا وما لها بين البريّة؟
الخُلق صار بعرفها عريا و"موضات" وغيّة

(١) هي الأشرفية: حي من أحياء عمّان عاصمة الأردن يعرف باسم جبل الأشرفية.

وتمــيّعا في اللفــظ يهــدم مــنعة الــنفس الأبــية
تنبــيك مشــيتها الخلــيعة عــن روايــتها الدنــية
لا شــيء تفقــه غــير أخــبار الغوانــي "اللندنــية"
"بــاريس" قبلــتها تصــلي نحوهــا في الــيوم مــيّة
هــل هــذه ســتلقن الأجــيال نــيران الحمــية
لا شــيء غــير مخنــثين وكــالحمير القبرصــية
نبراســهم أكــل ونــوم ثــم لهــوٌ يــا أخــيّة

* * * * * * * *

أأخــيتي شــدّي العــزائم وانهضــي قبسًــا مــنير
يــا درة الأخــلاق قــودي ركــب نســوتنا الغريــر
قــودي النســاء إلى الفضــيلة لا لفســتان قصــير
فالكاســيات العاريــات مصــيرهن إلى الســعير
يــا بنــت خولــة شــاهد اليرمــوك مــنها مــا يــثير
أسمــاء أخــتك خططــت درب العــلا لابــن الــزبير
بــيديك أركــان الحــياة فأنــت بانــية العصــور
"جلــبابك" الشــرعي أرعــب ملــة الكفــر الكفــور
حشــدو له الخــبراء إذ ظــنوه إيــذان الــنفير[١]

* * * * * * * *

(١) إشارة إلى المؤتمرات التي تعقدها الدوائر الاستعمارية لمواجهة صحوة المرأة المسلمة.

مــرحى حمــاة الســتر إن الســتر طهــر لا يمــارى
زمــرّ تــدل عــلى الفضــيلة بعــد أن كــادت تــوارى
يــرفعن مصــباح الهــدى، يرشــدن لــلحق الحــيارى
في عصــر "عولمــة" النســاء يقــدن للســتر العــذارى
في عصــر "أمــركة" العفــاف رفعــن للطهــر المــنارا
ببــيانهن تلــون في سمــع الــورى ســير الطهــارى
بجهــادهن رأيــت هــذا "الــزي" في الأفــاق ســارا

****

أبــنات هــذا الديــن يــا أمــل النســا في العــالم
يــا رائــدات الطهــر في عصــر الرقــيق الــناعم
أمــل تجلــي في الــورى عــبر الدجــير القــاتم
بشــرى لكــن وألــف بشــرى مــن إلــه راحــم
أنــتنّ في هــذا الظــلام شــعاع صــبح قــادم
يعلــو بــه صــرحُ الهــدى ويُــدك عــرش الظــالم

****

رسالة من فتاة عربية... إلى فتى عربي مغترب

د. ماجد عرسان الكيلاني

يا من مضى عبر الفضاء إلى ديار الغرب طارا
وغدوت تصحب زوجة (ماري) أو الشقراء (سارة)
اسمع رسالة غادة عربية تأبى الصغارا
ماذا دهاك لترتضي هذي الفضيحة يا خسارة
تستبدل الأدنى الرخيص وتنتقي سقط القذارة
أنسيت أنَّا أمة نضع التعفف في الصدارة
أترى فتنت بقدها الميَّاد أو لون لاشقارة
إن الزواج بعرفها بعض التسالي والتجارة
لا شيء يجني زوجها إلا الشقاوة والخسارة
تاريخها عبر دناءته الكريهة لا تمارى
ما أنت أول عاشق في حجرها هتك الستارة
ولغت بها زمر الكلاب وأشرعت ذيل الدعارة
في كل أسبوع لها وغد يبادلها الزيارة
في كل أسبوع لها (بار) تموج به السكارى
أسفي عليك نسيت أني آية بين العذارى
للدين للخلق الكريم وفي المودة لا أبارى
أنا ربة الشرف الرفيع ومخدعي حصن الطهارة
أنا تارة رمز الوفاء وصانع الأبطال تارة
إن رمت تعرف قصتي فانظر "لأطفال الحجارة"

أنـــا للقـــرين مـــثابة وغمامـــة تعلـــو مســـاره
أنـــا في حضـــوره بهجـــة أنـــا في الغـــياب أصـــون داره
أنـــا بـــالتراحم أهلـــه أرعـــى وبالحســـنى جـــواره
يـــربو بحجـــري مالـــه وأســـوس للعلـــيا صـــغاره
وإذا تجهـــم دهـــره كنـــت الرفـــيقة في جســـارة
فـــأرومتي عربـــية وشمـــائلي ارتفعـــت مـــنارة
أنـــا بنـــت إسـلامي الـــذي أرســـى لـــنا أسمـــى حضـــارة

* * * * * * * *

مصادر البحث

أولاً: المراجع العربية

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الحديث الشريف.

٣ ـ ابن تيمية، أحمد، الفتاوي الكبرى، كتاب علم السلوك، جـ١٠ الرياض ١٣٩٨هـ.

٤ ـ ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين.

٥ ـ المحاسبي، الحارث بن أسد، الرعاية لحقوق الله، القاهرة: دار الكتب الحديث ١٩٧٠م.

٦ ـ الغزالي، أبو حامد (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين.

٧ ـ الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، بيروت

ثانيا: المراجع الأجنبية

1- Dubos, Rens, So Human An Animal, New Yorki Charh's Sons, 1968.

2- Elsie, Adonl, 2 Mary louis Brisco, LLp Ayuilst The Liall, Mathei.., Bevcrly-Hill,1971.

3- Hoftstard, Richard, Social Darwinism. Boston: The Am. Hist. Assoc. 1955.

4- Joan Cassell, A Group called Women, New York: David Mackay Co. Inc. 1977.

5- Lash, Christopher. Haven in a Hearfless World: The Family Besieged, New York: Baic Books, Inc. 1977.

6- Maslow, Abraham, "The Unraticed Reiolufion" in Dynamic Society, ed. By D.W. Gibson, 1972.

7- Michael, Gordon, The American Family, New York: Random House, 1978.

8- Nona, Glazer & Ethers. Woman in a Man-Made World, Chicago: Rand Mc Nally, 1977.
9- Oakley, Ann, Women' Work, New York: Random House, Inc. 1975.
10- Rasabeth, Moss Kanter, Men and Wamon Of the Corperations, New York: Basic Books, Ine 1977.
11- Roslyn. Feldberg & Janet Kohen, "Family life in Anti-Family life, in Women in aman-made Werld, 1977.
12- Toffler, Alvin. Futare Skbock, New York: Bantam Co. 1981.

فهرس الموضوعات

الإهداء ٥
الدعاء ٦
مقدمة ٧
١ـ الزوجية سنة خلق وقانون حياة ١٣
٢ـ كيف يعمل قانون الزوجية في حياة الرجل والمرأة ١٦
٣ـ نماذج المرأة الأربعة وتطبيقاتها في الواقع الذي نعيشه ٢١
* نموذج المرأة القوية ـ الفاضلة ٢١
* نموذج المرأة القوية ـ غير الفاضلة ٣٠
* نموذج المرأة الفاضلة ـ الضعيفة ٤٣
* نموذج المرأة المستضعفة ـ غير الفاضلة ٤٦
٤ـ الفتاة المسلمة وريادة تحرير المرأة في عصر العولمة ... ٥٠
٥ـ الاحتشام والسلوك الفاضل ٥٩
٦ـ السلوك المحتشم: معناه ومحتواه ٦٣
* معنى السلوك ومكوناته ٦٤
* تنمية السلوك المحتشم ٦٩
* تكامل مؤسسات رعاية السلوك ٧٢
* تزاوج المبدأ الأخلاقي مع الذوق الجمالي في السلوك المحتشم ٧٤
٧ـ آثار "ثقافة السوء والعري" في الحضارات والمجتمعات ٨٣

٨ـ ثقافة العُري سمة المجتمعات الظالمة ونظم الطغيان ٨٥
٩ ـ عدم الاحتشام في المجتمعات المعاصرة وأزماته.... ٨٨
١٠ـ الخلاصة والتوصيات ٩٥
١١ـ قصيدتان: ١٠٣
* قصيدة رائدة الفضيلة ١٠٣
* قصيدة رسالة من فتاة عربية ... إلى فتى عربي مغترب ١٠٧
١٢ـ مصادر البحث ١٠٩
١٣ـ فهرس الموضوعات ١١١

رسالة مفتوحة إلى
الفتاة المسلمة
في عصر العولمة
د/ ماجد عرسان الكيلاني
GLOBALIZATION
دار القلم